تراث

شهرية تصدر عن نادي تراث الامارات - العدد الثاني - يناير ١٩٩٩م / رمضان ١٤١٩

• محطات في حياة الأديب ابراهيم المدفع

• الخيل بين الأسطورة والعلم

• الألعاب الشعبية في الإمارات

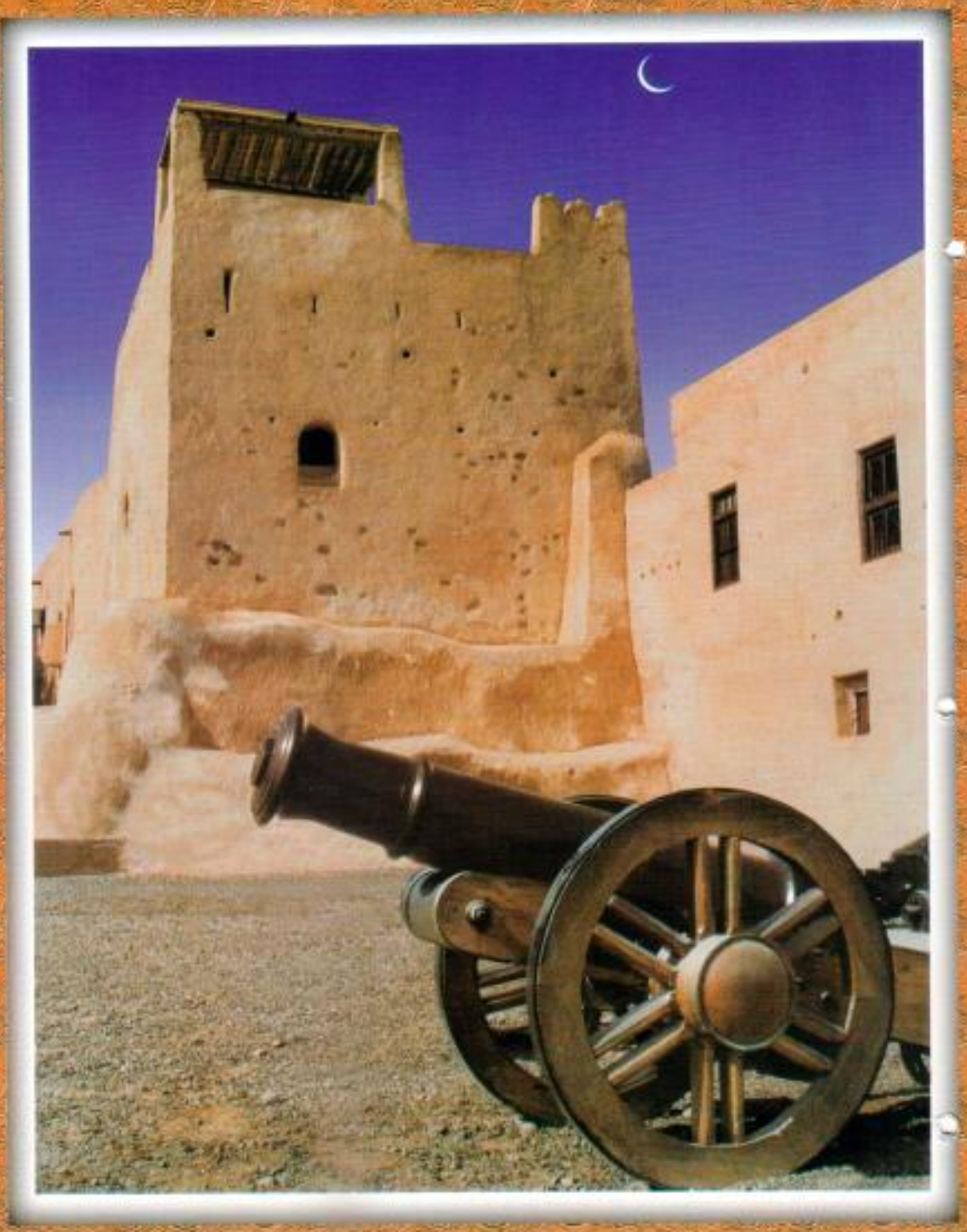

رمضان بالشوف .. والعيد بالحساب

تراث

مجلة شهرية تراثية
ثقافية منوعة تصدر
عن نادي تراث الإمارات

العدد الثاني يناير ١٩٩٩

هيئة الاشراف

خلف عبد الرحمن الرميثي
محمد سعيد الرميثي
عادل محمد الراشد
د. حسن محمد النابودة

المحررون

حنفي محمود جايل
محمود اسماعيل بدر
محمد رجب السامرائي
عبد الله بني عيسى

المراسلات

نادي تراث الامارات ص.ب: ٤١٤٦٤ أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة هاتف: ٦٥٦٣٢٢
فاكس: ٦٥٧٧٥٧
بريد الكتروني
e-mail: turathmag@yahoo.com

الأسعار

الإمارات ٥ دراهم . السعودية ٥ ريالات
البحرين ٥٠٠ فلس . الكويت ٥٠٠ فلس
قطر ٥ ريالات . عمان ٥٠٠ بيسة
الدول العربية دولار امريكي واحد
اوروبا وامريكا والدول الاجنبية دولاران اثنان
الاشتراك السنوي للأفراد: ٥٠ درهما
الجهات الحكومية داخل الدولة ٦٥ درهما
ومايعادلها خارج الدولة

الاخراج والتجهيز الطباعي
مداد للاعلام والنشر
٩٧١ ـ ٢ ـ ٤٦٤٣٤٤

في هذا العدد

ملف خاص عن شهر رمضان

- رمضان بالشوف والعيد بالحساب ٦
- رمضان ما بين الأمس واليوم ١٠
- مجالس رمضان ١٤
- رمضان .. شعائر .. وعادات .. وتقاليد ١٦

الفنّ في الجزيرة العربية قبل الاسلام ٥٤

الحصون والقلاع في الإمارات ٣٤

ديوان العرب
معلقة زهير بن أبي سُلمى ٦٢

فلك
قبس من الفلك العربي ٤٩

دقائق اللغة
في معنى رمضان ٦١

فن اسلامي
نظرة أولية في مقوّمات الفن الاسلامي ٥٢

دراسة
الخيل بين الاسطورة والعلم ٢٩

القضاء العرفي قانون بادية سيناء ٣٨

جولة في قرية نادي
تراث الإمارات ٢٠

من تاريخ المسكوكات ٤٣

أبوظبي ... وخمسة وثلاثون
عاماً من الذكريات ٤٤

العرضة والرزفة وسباق الهجن ٥٦

بادي الرأي

عادل محمد الراشد

لاتزال كنوز تراثنا العظيم مليئة بجواهر ودرر تنتظر من يلتقطها لينفض عنها غبار النسيان ، ويعيد إليها بريقها الذي طالما اكتسبته من منجزات عصورها المتعاقبة ، وبراعة الأيدي والعقول التي صنعتها وصاغت كل تفاصيل الحياة التي عاصرتها .

وداخل مكتبة التراث ممرات وأروقة وسراديب وشعاب لا تكاد ترى لها حدود، وجميع هذه الممرات والأروقة والسراديب تزدحم بسجلات ووثائق وأسماء ورموز تبحث عن العيون ذات النظر الحاد التي تستطيع بقوة اختراقها فتح تلك السجلات والتنقيب في الوثائق والكتب والأسماء والرموز لتستحضر المعرفة بالزمان والمكان .. والانسان الذي بنى الأمجاد التي أصبحنا نبكي عليها مرة ونتغنى بها مرة .. ونهرب من حاضرنا وواقعنا إليها مرات ومرات .

هذه الدرر ، وتلك الكتب المكنونة تتوزع بين المكتوب في المخطوطات ، والمحفوظ في صدور الرجال، والمنقوش في مواريث الأوائل والرواد.. من فنون وآداب وعلوم وصناعات .. وصنائع تم اكتشاف القليل منها والكثير لا يزال يجلس على قائمة الإنتظار . وحدثت عروض لبعض مما تم اكتشافه بينما ضاقت مساحة شاشات العرض ودفاتر التقديم عن توسيع الرقعة لعرض المزيد على الأجيال .. هذه الأجيال التي هي اليوم في أشد الحاجة لتنشيط ذاكرتها وربطها بماضيها وهي تستعد لولوج مستقبلها .

وحتى تتسع رقعة العرض لتسع الجديد من القديم الموروث ، فإن المزيد من المطبوعات العربية في هذا الحقل مطلوبة ، والمزيد من دور ومراكز البحث التراثية أصبحت ضرورة تحتمها الرغبة في ترميم وصيانة أساسنا الثقافي والحضاري لكي نحفظ خصوصية أمتنا وننجح في حجز مقعدنا على رقعة العالم كما فعل أسلافنا الصالحون .

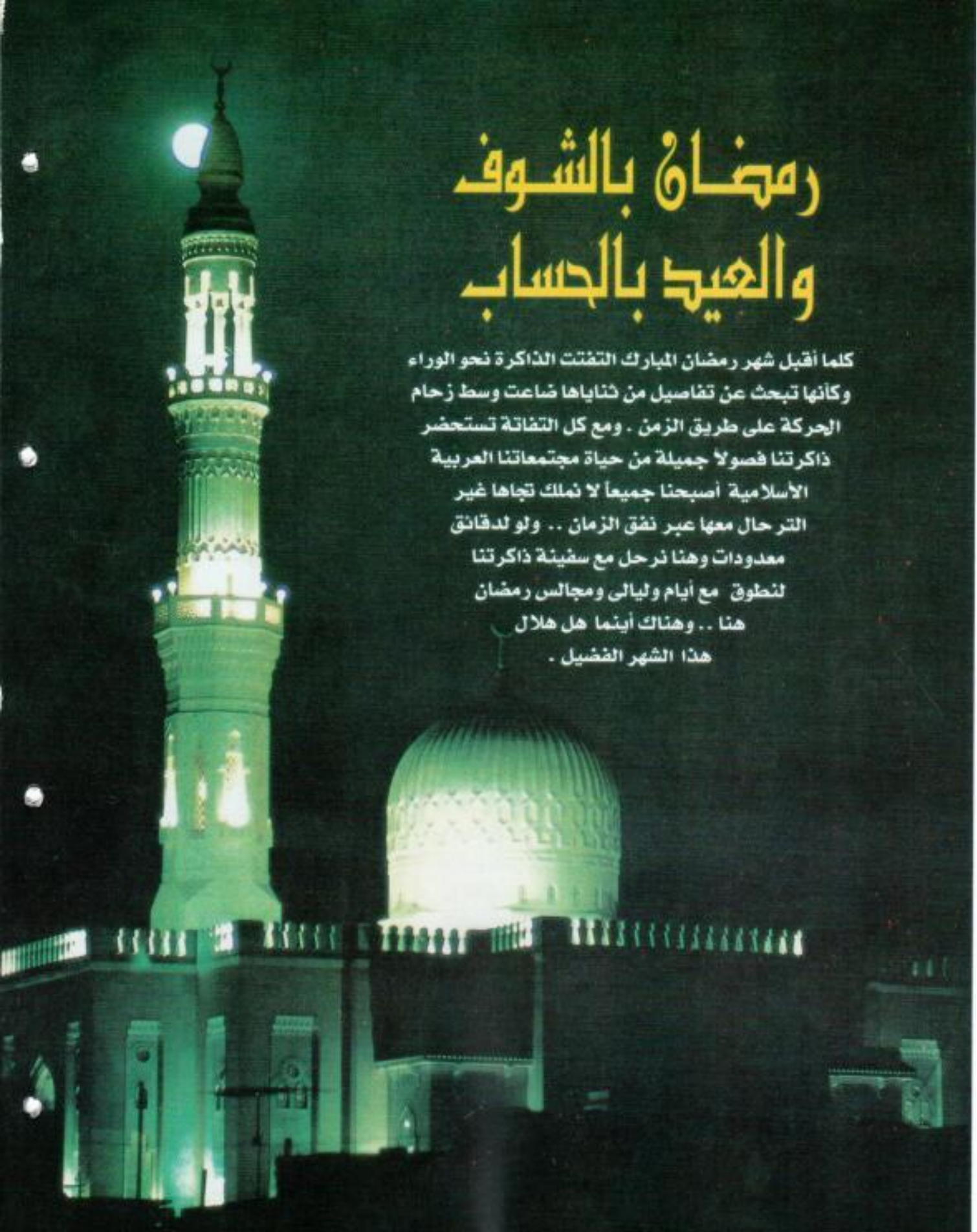

رمضان بالشوف والعيد بالحساب

كلما أقبل شهر رمضان المبارك التفتت الذاكرة نحو الوراء
وكأنها تبحث عن تفاصيل من ثناياها ضاعت وسط زحام
الحركة على طريق الزمن . ومع كل التفاتة تستحضر
ذاكرتنا فصولاً جميلة من حياة مجتمعاتنا العربية
الأسلامية أصبحنا جميعاً لا نملك تجاها غير
الترحال معها عبر نفق الزمان .. ولو لدقائق
معدودات وهنا نرحل مع سفينة ذاكرتنا
لنطوق مع أيام وليالى ومجالس رمضان
هنا .. وهناك أينما هل هلال
هذا الشهر الفضيل .

أهل «الحير» يتسحرون مع «صقعة الديك» والمدن بظهور النجم والبادية بسيرة الثريا

■ رمضان في الماضي له مذاق خاص يختلف عن هذه الأيام ، فرغم شظف الحياة وصعوبتها إلا أن قدومه كان عيدا للكبار والصغار ، فهو شهر للعبادة والمودة والتراحم والتقارب سواء جاء في الصيف أم في الشتاء ، سوالف عديدة يحكيها الآباء والأجداد يتندرون بها تارة ، ويتحسرون على أيام زمان تارة أخرى ، وحسرتهم تنحصر على التواصل والتواد اللذين كانا بين الأهل والعشيرة والقريح لكنهم هذه الأيام يقولون :إن الخير زاد بحمد الله وفضله ، لكن القلوب تباعدت وانشغلت ليس عن الأرحام فقط ، وإنما عن الأبناء أيضا ، والسبب انشغال الناس وبحثهم عن المادة ، ثم التليفزيون .

ورمضان في بلادنا الآن غير زمان ، فهو حاليا له طابع واحد تقريبا في كل مدينة وقرية بعد أن أصبحت ليس بلادنا فقط ، وإنما العالم كله قرية صغيرة ، أما زمان ، فإن رمضان في القرى الجبلية يختلف عن البدو ، وعن الريف ، وعن المدن .

رمضان عند أهل الحير (الجبال) كانوا يحسبون له باليوم منذ بداية شهر شعبان ، فإذا أتم شهر شعبان ٢٩ يوما ، أسندوا مهمة استطلاع هلال رمضان إلى من يثقون في رجاحة عقله ، ودينه ، وقوة إبصاره ، فيصعد إلى أعلى جبل في المنطقة يرقب الهلال مع غروب الشمس ، فإذا رآه ، أطلق عيارا ناريا ليعلن للجميع في قريته رؤية هلال رمضان ، وان لم يره ، يعود أدراجه ليكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما ، وفي كلا الحالتين يعود إلى والي أو أمير المنطقة حيث يجتمع أهل المنطقة يناقشونه حول رؤيته للهلال أو عدم رؤيته ، وعند الرؤية يصلون التراويح ليلتها ويعقد الصيام بالإجماع ، وتكون القرى المجاورة قد سمعت إطلاق النار فعرفوا بمقدم رمضان ، أو يرسلون لهم من يخبرهم ، وقد ترسل القرى المجاورة مندوبين من عندها للتأكد من أن إطلاق النار في تلك القرية كان لرؤية الهلال ، ولتهنئتهم بقدومه .

وعقب صلاة العشاء والتراويح ، يتجمعون في حظيرة الوالي أو كبير القرية حيث القهوة والتمر والفواكه ، وقراءة القرآن الكريم ثم السوالف إلى آخر الليل ، بعدها يذهب كل منهم إلى بيته ليتناول سحوره ، وينام .

ونهارهم في قرى الجبال لا يختلف كثيرا في الصيف عن الشتاء إلا في تقليل فترة العمل الذي لا يتعدى رعي الغنم وجمع الحطب وعمل ((الصحام)) ، وهذا الفحم كان يباع في أسواق أبوظبي أو دبي .

وكان معظم نهارهم خاصة في الصيف يقضونه في النوم او الراحة تحت شجرة غاف أو سدر ، حتى إلى ما بعد صلاة العصر ، حيث يعودون مع أغنامهم إلى البيت ، فتكون الحريم قد أعدت طعام الإفطار الذي لا يتعدى التمر والحليب ، و(الملانيط) أحيانا ، وأهم ما في ذلك أنه لم يكن أحد من الرجال خاصة ، وكذلك الحريم يفطر بمفرده أو مع أسرته ، وإنما كان يحمل ما عنده ويذهب به الى حظيرة الوالي أو كبير القرية ، وكذلك الحريم ، وينتظرون أذان المغرب الذي يتعرفون عليه بالخبرة ، وبغروب الشمس ، عندها يؤذن المؤذن ، فيفطرون ، ثم يصلون المغرب جماعة ، ثم يعودون لتناول طعام العشاء الذي لا يتعدى الخبز المعد من الذرة المنتجة محليا أو الدخن ، والشعير المطحون على الرحى ، وقد يكون معه لحم مجفف أو دجاج محلي موجود في البيت وأحيانا مع السحناه .

ويصلون العشاء والتراويح ، ثم يجلسون لقراءة القرآن الكريم ، والسوالف إلى ما قبل السحور وذلك بشكل دوري ، كل يوم في بيت من البيوت ، وأيضا كل منهم يأتي بما عنده ، وغالبا ما يكون الطعام من الخبز ، أو الثوب ، وهو عبارة عن خبز بحجم متين ومحلى بالسمن الطبيعي والعسل ، إضافة الى التمر وهو غالبا من الخنيزي أو النخال المضاف إليه المسيبة ، والثريد لا يكون إلا عند الأسر المقتدرة، وتستمر الرمسة الى وقت السحور الذي يتعرفون عليه (بصقعة الديك) ، فهو يصيح مرتين ، في المرة الأولى تنبيه لقرب وقت حلول السحور ، والثانية بدخول وقت السحور ، فيذهب كل منهم إلى بيته لتناول سحوره الذي غالبا ما يكون من

الخبز والقهوة والتمر . وبعد السحور ينامون انتظاراً للفجر الذي يبدءون بعده يوما جديداً .

وكان أهل ((الحير)) يعيشون حياة قاسية وسط الجبال التي تحتضن قراهم من كل جانب . لا يرون حولهم إلا الحجارة الصماء القاسية متجهمة دائما ، وكانوا يتغلبون على هذه القسوة بالتزاور والتراحم والمودة ، كان إذا خرج أحدهم في سفر وغالبا ما يكون إلى السوق ليبيع ويشتري ، كان أهله يعيشون في رعاية كاملة من باقي أهل البيوت حتى يعود . وكان بدوره يجلب لهم معه ما يحتاجونه ، لكنهم غالبا كانوا يتجنبون السفر في رمضان لأنه مكدة وتعب ، ولا يقدرون على الصيام معه خاصة في فصل الصيف ، لذلك ، كانوا في الغالب يجهزون احتياجاتهم لشهر رمضان قبل قدومه بمدة حتى يتجنبوا السفر خلاله .

وقد تمسك أهل الحير بمناطقهم رغم صعوبتها لوجود ما يربطهم بها ، حيث لم يستقروا أصلا في هذا المكان الصعب الوعر القاسي إلا لوجود بعض الزراعة البسيطة على عين ماء فجرها الله لهم في هذا المكان ، لذلك ، كانوا في رمضان يتعاونون على الري ولكن في الليل ، ويسمونها (فزعة) حيث يخرجون لمساعدة من عليه الدور في ري زراعته ، ثم يعودون الى سمرهم وسوالفهم .

وكما ذكرنا فإنه لم يكن هناك ساعات ولا أجهزة راديو ولا تليفزيون لتنقل لهم حلول الشهر الكريم ، لذلك كانوا يعتمدون على أنفسهم في التعرف على قدومه من خلال الرؤية ، ولأنهم وسط الجبال وتحتجب الشمس قبل موعدها ، فإنهم يحتاطون الى ذلك بصعود شخص يوميا الى قمة أعلى جبل لاستطلاع غروب الشمس ، وكانت تصادفهم مشكلة أخرى في الشتاء حيث يحجب السحاب الرؤية أحيانا ، وحدث عدة مرات كما روى الأجداد أن تلبدت السماء بالغيوم السوداء ، وعند آخر النهار ظن الناس أن موعد الإفطار قد حان ، فتناولوا طعامهم ، وما هي إلا بضع دقائق حتى ظهرت الشمس من بين السحاب !!!

وعند العيد ، كانوا لا يستطلعون هلال شوال إذا أكمل شهر شعبان ثلاثين يوما ، وإنما يفطرون بالحساب ، فبعد ٢٩ يوما من رمضان يفطرون مباشرة دون محاولة الرؤيا ، وكذلك الأمر إذا كان شعبان ٢٩ يوما فإنهم يصومون رمضان ٣٠ يوما ولا يستطلعون الهلال بعد ٢٩ يوما كما جرت العادة ، أي أن قدوم شهر رمضان كان بالشوف ، وشوال بالحساب .

رمضان في البادية

ولا يختلف الأمر كثيرا في البدو ، حيث كانوا عندما يكتمل شعبان يقولون : ((الليلة ضاوي رمضان)) ، وكانوا يرسلون من يثقون في ذمتهم ودينهم ليستطلعوا هلال رمضان ، وإذا أجمع ثلاثة منهم على رؤية الهلال ((نفعوا)) ثلاث طلقات نارية إعلانا بقدوم الشهر الفضيل ، ويقولون : ((هلال هلك الله كل حول داير عملاقاتك)) ويصلون التراويح ليلتها ، ويصبحون صائمين ، وفي الصباح كل منهم يذهب الى عمله فمنهم من يرعى البوش أو الغنم وكانت حياتهم بسيطة وسهلة .

لكن التعرف على موعد الإفطار كان أسهل بالنسبة لهم لعدم وجود جبال وإن كانوا يحتاطون للأمر أيضا ، فإذا كانت هناك " عراقيب " تحيط بهم فإنهم يرسلون من يعتلي أعلى كثيب من هذه الكثبان خاصة الذي في جهة الغرب ليتأكد من غروب الشمس تماما ، ويعطي إشارة بذلك ليؤذن المؤذن . ويتشابه الأمر بين قرى (الحير) والبدو فيما بعد صلاة العشاء والتراويح الى السحور الذي يتعارفون عليه بسيرة الثريا ، والشيء نفسه بالنسبة للنهار .

ويختلف الوضع بالنسبة لأهل الزراعة في القرى الريفية ، حيث كانوا يروون زراعاتهم في المساء عقب صلاة التراويح بالتناوب ، لتفادي حرارة الجو نهارا ، ويستمر ذلك إلى ما قبل السحور ، وفي النهار كانوا يقومون بباقي أعمالهم من بعد صلاة الفجر الى الضحى ، وينامون تحت النخيل ، وعندما يكون الحر قاسيا عليهم ، وغالبا ما يكون ، يضطرون الى تبليل قطعة قماش كبيرة ويغطون بها أجسامهم لتخفيف الحرارة ، ويبقون في زراعاتهم الى ما بعد صلاة العصر حيث يعودون الى بيوتهم استعدادا لتناول طعام الإفطار في حظيرة الوالي أو كبير القرية بالنظام نفسه في قرى الحير . والعادات نفسها تقريبا هي التي كانت سائدة في المدن ، مع اختلاف بسيط في سرعة الإبلاغ عن قدوم رمضان بين الفرجان رغم تباعدها ، فقد كانوا " يتفقون بالتفقان " ، وصوت الطلق الناري الذي ينطلق من بندقية يسمع من مكان بعيد حيث لم تكن هناك حواجز أو موانع تمنعه ، إضافة الى صوت المدفع الذي كان " يثور " من أمام قلعة الحاكم ، لكن الاختلاف الواضح كان في وجود مساجد ومطاوعة يأتون من خارج البلاد يشاركون في إحياء ليالي رمضان ، وأيضا ، كان الإفطار بمتابعة الشمس ، فإن غابت أفطروا ، والفطور يكون جماعيا كما في القرى ، فأهل كل فريج يتجمعون في حظيرة ، والفريج بتراوح عدد بيوته بين عشرة الى عشرين بيتا ، ويتأتي كل بما عنده ، وغالبا ما يكون السمح مع الجامي وعليه السمن البلدي ، والسحور كما في القرى كل يتسحر في بيته وعلى ظهور النجم ، فإذا ظهر قالوا ان السحور قد وجب فتسحروا ورقدوا حتى أذان الفجر ، وبعد الصلاة كل يذهب الى عمله .

إلا أن الفارق الذي يمكن أن يذكر بين المدن والقرى إمكانية معرفة قدوم رمضان في بلدان

مجاورة عن طريق قادم ، أو أولئك الذي كانوا يملكون أجهزة راديو قديمة يستمعون فيها الى اذاعات الدول المجاورة ، ومع ذلك كانوا لا يعترفون بهذا ، وكانوا يعتمدون قدوم هلال رمضان بالشوف ، باعينهم ، والعيد بالحساب ، بل كانوا يرفضون الصيام تماما ما لم تكن الرؤية من عندهم ، وحدث في بعض الأحيان خاصة في السنين القريبة من قيام الاتحاد عندما دخلت السيارات الى الخدمة بين دبي والعين وأبوظبي ، صحيح أنها كانت تستغرق عدة ساعات، لكن كان القادم يصل إلى أهله في العين من دبي في اليوم نفسه ، وقد حكى أحد الأشخاص الكبار في العين أنه عرف من خلال مذياع في دبي بحلول رمضان في دولة مجاورة ، فنوى الصيام ، وركب السيارة مع الفجر وحضر الى أهله في العين قرب العصر تقريباً فوجدهم في برزتهم يتناولون الفواله والتمر والقهوة ، فأخبرهم فنهروه ، وطلبوا منه الإفطار لأنهم لا يعترفون بقدوم رمضان إلا بالشوف.

فرحة العيد

وقبل انتهاء الشهر الفضيل بأيام ، كان الحريم في كل القرى والمدن تقريبا يستعدون للعيد ، وذلك بتجهيز الملابس الجديدة إن وجدت ، أو صباغة الملابس القديمة ، والحناء ووضع سعف نخيل أخضر وبعض الزهور الجبلية على الأبواب استعداداً لاستقبال العيد ، بينما يضع بعض الرجال والنساء الحناء على أيديهم وأقدامهم ، وهي من الحناء الطبيعية المنتجة من مزارعهم ، وتكون حتى (الجوزة) على الأرجل وحتى الرسغين على الأيدي بالنسبة للرجال ، وكامل القدم للنساء .

وبعد رؤية هلال شوال ، يصلي الجميع في مكان مكشوف ، ويرجعون في قرى الجبال والبادية الى بيوتهم بالرزفة وإطلاق الأعيرة النارية ، ثم يمرون على بيوت المنطقة يسلمون على أهلها للتهنئة بالعيد ، ثم يتجمعون في بيت الوالي حيث الفوالة من الخبز المخلوط بالبيض المحلى ، والهريس بالسمن البلدي والفندال والتمر ، وبعض الناس يأتون بالعسل المتوفر ، وبعد القهوة يذهبون الى الحاكم ليقدموا له التهنئة بالعيد ، وبعد عودتهم من عند الحاكم أو الشيخ ، يذبحون الذبائح للقادر منهم ، ويجهزون العيش واللحم ثم يتجمعون في مكان واحد وكل منهم يأتي بما عنده ، وبعد الغداء يذهبون لزيارة الأرحام خاصة الذين يسكنون في مناطق بعيدة . ■

سوالف بنت الفريج

كم توشحت عيناي تلك المآذن الممتدة رفعة نحو السماء ، وكم تعلقت روحي بذلك الصوت الممتد عبر الآفاق إلى مالا نهاية في موكب متناغم يعبق بالشفافية والروحانية ذاكراً الله تعالى معبراً عن الوحدانية مخترقاً صمت البحر العظيم ووجوم السماء الحالمة وهم يحملون شعاع الشمس الذهبي الأفل وكم أحببت تلك الأيام المجيدة ونحن في منزلنا نستقبل ما يهديه الجيران لنا من أطباق الشهر الفضي (شهر رمضان).

إيه يا موائد الخير لعطاء الخير للفقراء والجيران ، وها هو أبي الحبيب يجلس معنا مستمعاً بشوق إلى حديث شيخنا الجليل علي الطنطاوي برنامج (على مائدة الإفطار) وها هي أمي وأختي تحضران اللبن والتمر والقهوة الخليجية المفعمة برائحة الهيل والزعفران .

ومع صوت الآذان تسكن حركة كل شيء إلاّ عن صوت الدعاء الخافت (دعاء الإفطار) وبانتظار صلاة العشاء تمتزج رائحة الدخون الطيبة بذكر وتلاوة من القرآن الكريم .

وها هم فتيات وفتيان الفريج يتساقون لإدراك العشاء والتراويح ويزدان مسجد الفريج بصفوف منظمة وبوجوه تغمرها بشائر الإيمان ، مسجد الفريج الذي يصبح ملتقى للجيران والأصحاب يتدارسون فيه القرآن فتسمو نفوسهم بالرحمة والإيمان وفي ظلام الليل نصحو على دقات طبل المسحر خميس : (أقعد يا نائم سحورك دائم) . وبلجهة أبوية كريمة يوقظنا أبي قائلاً (إن في السحور بركة) .

فتجتمع الأسرة مرة أخرى على مائدة الخير بانتظار خيوط الفجر لتؤدي الصلاة وهكذا أنت يا شهر الجلال والإكرام . بداية يومك طهر .. وأوسطه رحمة .. وآخره نور وهداية .

شمسه الطائي

رمضان

ما بينَ الأمس واليوم.. نبش في قاع الذاكرة

■ محمود اسماعيل بدر

■ تمرُ السنوات ، وتتغير الأجيال .. ويبقى شهر رمضان حاملاً تميّزه وبريقه وألقه وخصوصيته ، لا يأبه كثيراً بما تنثره تكنولوجيا العصر فله عاداته وأصالته وذكرياته، يتغيّر الناس .. وتتغير عاداتهم وهو باقٍ ، برسالته الأعلى قدراً ومكانة من كل الأشياء .. وكما في كل البلدان الاسلامية والعربية عادات يحرص عليها الصائمون ، فهناك عادات رمضانية جميلة كان يحرص عليها ابن الامارات في ماضيه الأول .. عادات أشبه بالحنين الى تلك الذكريات التي كانت تتجلى من خلالها قواعد ومنهج الحياة الانسانية ، وأبسطها ذلك العشق الجارف لاكرام الضعيف والفقير ، فرسالة الصيام عندهم ليست مقصورة على الجوع والعطش .. إنما هي رسالة إنسانية تنبعُ من أخلاق الاسلام ، وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاق الخلافة الاسلامية ورؤيتها للناس سواسية كأسنان المشط .

درويش عبيد الرميثي : كل الناس يتقاسمون الهموم والأفراح

واليوم ورمضان يزحفُ معنا باتجاه القرن الحادي والعشرين .. كيف يراه الناس الذين عاصروه في الأيام الغابرة ؟ ما هو شكل حنينهم الى أيامه وسوالفه وذكرياته ؟ هل يتحسرون على مجالسهم القديمة ... و حكايات البحث عن اللؤلؤ ومغامراتهم البحرية - مخزونهم الانساني والتراثي الملتصق بهم كما الدم في الوريد .. قصص وحكايات وذكريات وآراء عفوية صادقة عشناها مع ثلاثة من الرّجال الذين عاصروا رمضان ما قبل اكتشاف النفط وبعده ... كيف يتذكرون أنفسهم ؟! وكيف يروننا في ظل الثورة الاسمنتية والسوبرماركت والكمبيوتر وغيرها من الأشياء التي باتت عناوين حياتنا الحاضرة ؟! وهل ما زالت حلاوة أيام زمان .. وحلاوة رمضان كما كانت في العهود الأولى ؟

• علي حسن سعيد الشيخ الرّميثي (ابو حسن) موسوعة تراثية متنقلة تمشي على قدمين وتحظى باحترام الجميع في نادي تراث الامارات حيث يعملُ مستشاراً تراثياً ، من يسمع عنه ويعزمُ على لقائه لا يمكن أن يتبادر الى ذهنه

علي بن حسن الرميثي : لم نعتمد يوماً على أحد في إعداد طعامنا

أنه سيغادر خلال أعوام قليلة الى العقد الثامن من عمره .. فبعد زواجه لمرتين، وإنجابه لأربعة أولاد زيّنوا حياته بأثنين وعشرين حفيداً ، ما زال يملك حركة ونشاطاً وحيوية يحسده عليها الكثيرون من الشباب والكبار ، فهو لم يزُر طبيباً إلاّ مرة واحدة حينما أجريت له عملية قلب في الخارج بلفتة كريمة من سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء ، رئيس نادي تراث الامارات .. وعن سر حيويته ورشاقته يقول ابو حسن أنها نابعة من كثرة الحركة ونوع الطعام الذي يتناوله ، فعن حركته الدائمة يشير الى أنه تنقّل في مهن كثيرة (فقد عملت صبّاغاً وكهربائياً ، وبنّاءً ، وفي صناعة الأبواب والشبابيك ، وشباك صيد السمك ، وصناعة البوانيش الصغيرة)

وعن طعامه، يذكر أنه لا يزيد عن اللحم والسمك والتمر واللبن ويتفاخر ابو حسن ... بأنه ليس من روّاد (السوبرماركت) .. ويقول (لم أتأثر بالحضارة كثيراً ، فهذه الدكاكين يسمونها سوبر ماركت لا أصلها ولا أهتم بها .. فمحتوياتها تستنفذ النقود والصحّة) ويضيف

احمد ضاعن المهيري : كنا نفطر جماعياً عند أكبر أهل الحي سناً

أنّ طعامنا في شهر رمضان لم يزدْ عما ذكرته بكثير ، فالمكبوس والهريس والرّقاق والمحلّى والتمور وجبات رئيسية وشبه دائمة في موائدنا ...و الأهم من ذلك .. إنها من تجهيز وصُنع أيادينا .. فلم نعتمد يوماً على أحد لاطعام أنفسنا وعائلتنا .

ويُشاطر درويش عبيد سعيد الرميثي (ابو أحمد) صديقه الرأي ويقول أنّ أهمّ وجباتنا الرمضانية هي (السمك) الذي كان متوفراً ورخيص الثمن . وإنّ الطعام كان في متناول الجميع ، وكنا نتقاسم الطعام ، ونساعد الفقير دونَ أن نُشعره بفقره فعلى القادر أن يسعد الضعيف)

من جانبه يؤكد أحمد ضاعن المهيري (ابو عبد الله) أنّ رمضان كان فرصة لتجمع الجيران والأصدقاء والأهل لتناول وجبة الافطار مع بعضهم البعض ويقول (كان هناك تواصل ومحبّة ، كنا نختارُ أكبرنا سناً ، ونجعلُ من منزله مكاناً للافطار طوال شهر رمضان ، كل واحد منّا يحضر مالديه من أطعمة ، وكذلك كانت تفعل النساء حيث كن يتناولن إفطارهن

في بيت احداهن والذي لا يملك ما يُقدّمه ، كان يحضر الى مجلس الافطار دون خجل أو تردّد ... ، فلماذا نخجل من نصيبنا وما قدّره الله لنا ؟! .

ويؤكد ابو حسن أن الناس اليوم باتوا يبالغون في الشراء والاستعداد لاستقبال رمضان ، ويُعزي ذلك الى توفر النقود بكثرة بين أيديهم ، ويقول (إن مشواراً واحداً الى السّوق قبيل رمضان كان يكفي لتغطية احتياجاتنا الرئيسية ، إذ أن الكثير مما نحتاجه كان متوافراً في البيت ، لم نكن نعرفُ هذه الأصناف الكثيرة والغريبة من الأطعمة) ويضيف الطعام المحدود ، لا يُثقل الجسم ، ولا يبطيء الحركة ، لذا كانت حياتنا الرمضانية تبدأ بعد صلاة التراويح مباشرة ، حيث زيارات الأقارب والأصدقاء والسؤال عن حال الصغير والكبير) ويتنهد ابو حسن متأسفاً على ما آل اليه حال الناس اليوم ويقول : ((اختفت اللقاءات الحلوة بين الناس .. فالكل مشغول .. ولا أحد يأبه بالآخر ، فجارك لا تكاد تلتقيه إلا في المسجد أو مصادفة في شارع ما وإذا التقيته فلدقائق معدودات) .

وفي هذا الإطار يؤكد (ابو أحمد) أنّ شهية الناس للطعام قد قلّت ويقول : (طعامنا في السابق كنا نأكله برغبة وهناء ، أمّا الآن لكثرة الأكل وتنوّعه أصبح الناس يخشَوْن الأمراض فقلّت الرغبة والشهية وإزداد معهما الوسواس)

• ابو حسن الذي تزوج للمرة الأولى وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وهي سنّ زواج متأخرة بالنسبة لأبناء جيله الذين كانوا يتزوجون ما بين السابعة عشرة والثامنة عشرة ، يرى أن زواج أيام زمان أكثر بهاءً وديمومة على الرغم من أن العريس لم يكن يُسمح له برؤية عروسه إلا (ليلة الزواج) ويقول ابو حسن إن زواجه الأول من إبنة خاله لم يكلفه مهراً سوى مائة درهم تقريباً ، بينما كان مؤخر صداقها (٥٠ تومان) أي ما يُعادل ٤٠٠ أو (روبية) كما يحبّ تسميتها ، وقال ابو حسن أنّ استعدادات العريس للزواج لم تكن تكلّفه سوى (كندورة وغُطرة ، وعباءة ، وعصى من الخيزران) ووصف أفراح الزواج القديمة بالافراح المحافظة والمتزنة التي تخلو من البهرجة والغناء والرقص والطبل على نحو ما يحدث في أفراح اليوم وقال :(إن أفراحنا كانت تشتمل على المولد حيث التراتيل والأناشيد الدينية مثل الصلاة على النبي الف صلاة عليك يا نبي وعن النساء ومشاركتهن في الأفراح فيذكر أن النساء كان يُسمح لهن بالنظر من بعيد الى طقوس المولد الذي يقيمه الرجال .. فقد كانت مخالطة النساء للرجا محظورة .

ويذكر ابو عبد الله حول الزواج في رمضان أنّ زيجات هذا الشهر كانت قليلة جداً ، وإذا حدثت زيجة في هذا الشهر ، فان مظاهر الاحتفال تقتصرُ على إقامة مشرع أو خيمة ، تكون بمثابة المكان المخصص للرجال لإقامة (المناظيم) أو الأناشيد الدينية التي كان يشرف عليها ويؤديها بعض المطاوعة (أئمة المساجد) وذكر أنهم كانوا يستخدمون (الدّفوف) خلال أداء هذه الأناشيد ومنها أنشودة يقول مطلعها :

يا ربّي حبيب المصطفى
بلّغ مقاصدنا
واغفر لنا ما مضى
يا وسيع الكرم

• أما أهم المظاهر والعادات الدينية والانسانية التي كانت سائدة لدى المجتمع الاماراتي القديم فقد تمثلت في أداء الصلاة دون إنقطاع ، صلاة جماعية تجمع اليها الناس بكافة مستوياتهم ومقاماتهم فقد كان الخشوع سبباً ظاهراً في اقتراش المصلين لرمال الصحراء ... وفي الخلاء الفسيح كان لقاؤهم بالله يتّسم بتلك الروحانية الصافية الآخاذة ... ومن الصلاة الى تلاوة القرآن الكريم ، حينما كانوا يجتمعون في بيت أحدهم لأداء قراءة جماعية للقرآن تعبّداً وتقرّباً من الله سبحانه وتعالى وكانت العشر الأواخر من رمضان هي أيام إعتكافهم فلا نميمة ولا خداعاً ولا غشاً ، الكل يتجه بقلبه ووجدانه الى السمّاء .. والصلاة في ظُلمة الليل متكأ المؤمنين تضيء لهم ظلمة القبر ووحشته ، ويقول ابو عبد الله (لقد كنا نهتمّ كثيراً بالصلاة والصيام وقيام الليل ، ونحرص على رضا الوالدين ، واحترام الكبار والأصول والعادات).

• وأبو عبد الله بدوره يعبّر عن استيائه وألمه مما وصلت اليه الحياة هذه الأيام ، ويتذكر حلاوة رمضان القديمة ، وقال : رمضان القديم كان أكثر جمالاً وراحة لنا ، لقد كنا نعمل ما في مقدورنا وطاقتنا من طعام وغيره ، لم نكن نرهق أنفسنا لأجل كسب رضى الآخرين ، كما يفعل أهل اليوم الذين يقضون يومهم في اعداد الوجبات والأطعمة الغريبة) ويضيف (كل شيء تغيّر ، الأسعار مرتفعة ، الكندورة على أيامنا كانت بروبية والوزار بنصف درهم ، أما الآن فصارت الكندورة أنواعاً وأصنافاً ، وبعضها نستورده من الخارج وقد يصل ثمنها الى ثلاثمائة درهم ..) .

لقد لفت رجال ثلاثة أنظارنا الى حياة ربما لم تسطّرها الكتب ، ونثروها بين أيدينا بعد أن جمعوها من زوايا وأركان تاريخهم الجميل ، فحنينهم الدائم الى أصالة زمان ... ظل مبعث أملنا في المزيد من المعلومات ، فلم ينسوا أن يذكرونا بأن عيد الفطر السعيد الذي يحل علينا بعد شهر رمضان ، كان احتفالاً بالانسان قبل كل شيء ، فذكروا أنهم كانوا يستلمرون الزمن الذي يلي صلاة العيد ، فيذهبون جماعات يطرقون أبواب الجيران والأهل والأصدقاء الواحد تلو الآخر ، يقدمون التهنئة ، ويتعرفون على آخر أخبار الناس ... وعلى مدار يومين متواصلين ، لا يبقى غني أو فقير أو غريب في الحيّ إلاّ وقد نال نصيبه من السؤال والاهتمام ، أما اليوم الثالث ... فقد خُصّص للنساء .. لكي يتزاورن ... ويقدمن لبعضهن تهاني العيد .. هذه هي عاداتنا ... عادات نحبها ونتمسك بها ونمسك على جمرها مهما تقدم بنا الزمن .. ومهما طالت حضارة اليوم من إنسان اليوم ؟ هكذا قالوا ... وسط الاستنكار والضحك والألم واحتساء القهوة العربية التي يؤكدون أنها عنوان أيامهم التي لا تُنسى . ■

نسمة النود

خلف عبد الرحمن الرميثي

في إحدى الجلسات الرمضانية ، وفي بيت من بيوت الشعر ، جمعتني جلسة طيبة مع مجموعة من الشواب الأفاضل من أركان الجيل الماضي ، وبعد أخذ الأخبار والعلوم ، تطرقت الى السؤال عن مجموعة من الشواب لم أرهم منذ فترة ، فتوالت الإجابات تترى ... فهذا فلان توفاه الله وعليه رحمة الله ، وذاك مريض في المستشفى عسى الله أن يشفيه ، وفلان مقعد في البيت لم يره أقرانه منذ فترة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد لاحظت شيئا مهما ، أن هؤلاء الرجال الطيبين من شوابنا أبناء جيل واحد تقريبا ممن ولدوا في الثلاثينيات من هذا القرن ، وهو جيل مهم في مسيرة بلادنا الغالية ، حيث عاصروا أحداثا عظيمة ، وشاهدوا وقائع مثيرة ولديهم الكثير من المعلومات ، والتواريخ والسوالف ، ويكفي أنهم كانوا شهودا على أهم ما في مسيرة دولتنا ، وهو ذلك التحول العظيم الذي حدث في حياة الأفراد بل والتطور في الحياة نفسها في دولة الإمارات العربية المتحدة .

وعاودني السؤال الذي كثيرا ما يتردد في ذهني عن أهمية هذا الجيل العظيم ، وتداولت الحديث مع حاضري المجلس عن مدى الاستفادة الممكن تحقيقها من توثيق وتسجيل مشاهداتهم، وخبراتهم وتجاربهم .

نعم ، فقدنا في السنوات الأخيرة مجموعة عزيزة على نفوسنا من أبناء الجيل الماضي ولكن ما يزال هناك خير في الشواب الباقين - أطال الله في أعمارهم - فهم عبق الماضي ونتزود منهم بذخائر لجيلنا الحاضر ، ومن الواجب على أبناء هذا الجيل الجلوس في حضرتهم وتسجيل ذكرياتهم وسوالفهم وحفظها للأجيال القادمة ، قبل أن تمضي بهم السنون ، وتتناقص فيه أوراقهم وتندثر معهم هذه الذكريات والسوالف الطيبة ونفقد بالتالي صفحات مهمة من هذا التراث .

ولقد أعجبني مجموعة من الشباب الطموح ممن أخذوا على عاتقهم البحث والسؤال عن الشواب والرواد الأوائل ، وقاموا بعمل لقاءات معهم وسجلوا ووثقوا ما استطاعوا . أحد هؤلاء الشباب الكاتب المواطن /عبد الله عبد الرحمن الذي شربت من قهوته الكثير في الثمانينات ، قام بجهد كبير في هذا المجال وتنقل بين الجبال والوديان ومناطق الدولة المختلفة ، ونشر ذلك في زاويته (فنجان قهوة) بجريدة الاتحاد .

كما أذكر هنا واقعة رواها الشاعر المصري المعروف عبد الرحمن الأبنودي صاحب (السيرة الهلالية) عن تجربته العظيمة في جمع وتوثيق هذه السيرة ، والتي لم تكن مدونة ، وانما تناقلها الشعراء العامون في الكثير من البقاع المصرية ، وقضى الابنودي ثلاثين عاما متصلة في التنقل بين هذه البقاع ، والجلوس مع هؤلاء الشواب ، حتى تمكن من تسجيلها وحفظها للتاريخ كأحد ملامح التراث الشعبي المصري . يقول الابنودي عن احد هؤلاء الشعراء انه اطول من نهر النيل قامة وسجل معه ١٢٠٠ ساعة من السيرة الهلالية والمفارقة العجيبة انه توفي بعد اتمام تسجيلها بأسبوع كأنما استراح من حمل ثقيل وأدى امانة كان ينوء بحملها .

إنها بالفعل تجربة مثيرة ومهمة ، وتستحق المعاناة والكد ، لكنها خدمة جليلة نؤديها لبلدنا ولأنفسنا ، فالله الله في شوابنا وفي تراثنا .. وكل عام وأنتم بخير .

تقام بعد صلاة التراويـــح ويتوارثها السلف عن الخلف

مجـــالس رمضـــان

* بقي الإنسان العربي محافظاً بطبعه على العادات والتقاليد والمثل المتوارثة ، فلا يستطيع أن يحيد عنها ، فهي تحيا وتبقى معه لصيقة به كظله ، حتى نرى غالباً الآباء يحرصون على حماية تلك القيم الأصيلة وضمان توريثها لأبنائهم .

وعلى الرغم من النقلة الحضارية في كل مناحي الحياة ، فإنّ هناك من بقي ملتزماً بإرثه محافظاً عليه كمنزلة الابن للأب .. وكان من ضمن العادات الاجتماعية التي حافظ عليها العرب طويلاً الجلوس في حلقات سمر ليلاً وفي ليالي الشتاء الباردة لتناول أحاديث دينية وحياتية مختلفة . وقد اجتمع العرب قبل بزوغ فجر الإسلام حول موقد النار في العراء صيفاً وداخل الخيام شتاءً لتطارح الأخبار ورواية الأشعار . وشهدت الأسواق العربية القديمة مثل سوق عكاظ في الجزيرة العربية وسوق المربد بالبصرة في العراق بعد انفضاض التجار ، تلك الخيام المنصوبة و الشعراء وقوفاً أمامها لالقاء قصائدهم والتحكيم فيمن هو أجود الشعراء .

وأخذت المجالس في ظل الاسلام صيغة أخرى ، حيث بدأ المسلمون يلتقون فيها لحفظ كتاب الله تعالى وتفسيره ، والتفقه بالدين ، وكانت أغلب مجالسهم في المساجد قبل وبعد أوقات الصلاة .

المجالس عند العرب

وقبل أن نقف عند المجالس الرمضانية في الإمارات نُعرّج قليلاً لنعرف أنّ المجلس في حضارتنا العربية الإسلامية قد عُرف عبر العصور الاسلامية وتطور من عصر لآخر. فنقف عند مجلس شهرزاد وهي تروي حكايات ألف ليلة وليلة للملك شهريار لتلهيه بحكاياتها عن قتل بنات جنسها . وهناك مجالس الوعظ الديني عند الإمام ابن الجوزي الذي كان يضم مجلسه ببغداد في العصر العباسي بضعة آلاف من الناس ... ونجد مجلسا آخر يضم الوزير أبو عبد الله العارض المعروف بإبن سعدان وهو يستمع في مجلسه لأحاديث الأديب أبو حيّان التوحيدي وهو يروي له على مسامعه في مجلسه العامر بالأدباء والمستمعين ببغداد في ليالي السّمر الثقافي طيلة اربعين ليلة مواضيع في الفلسفة والثقافة الموسوعية . وقد ضمنها التوحيدي في كتابه الكبير ((الإمتاع والمؤانسة))

واذا وصلنا الى المقامات فنجدها تعني المجالس ومفردها مقامة وهي المجلس ، وتطورت دلالتها لاحقا فأصبحت تعني الحديث الذي يُلقى على الناس ، إمّا بغرض النُصح والإرشاد ، وإمّا بغرض الثقافة العامة ، ومن أبرز المقامات في أدبنا العربي القديم ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ومقامات الحريري ...

مجالس للأخبار والسير

عرفت العواصم العربية قبل ثلاثة عقود مجالس خاصة كانت تُعقد لرواية سير التاريخ والأعلام ، حيث يجلس الراوي وهو يحمل كتاباً ويلقي كلامه بصوت مسموع وبحركات تمثيلية على المشاهدين ليعرفهم بتلك الأخبار والسّير الشعبية أمثال سيرة الشاعر عنترة بن شداد ، أو سيرة بني هلال ، أو الزير سالم ، وغيرها من الحكايات العربية . وعُرف هذا الراوي في الخمسينات في مقاهي بغداد حيث يحتشد حوله المستمعون ليروي لهم حكاياته الشائقة ويُعرف (بالقصّة خون) ، وكان غالبا ما يقف في نهاية كل رواية عند وقفة مشوّقة كي يكون ملتقوه على موعد معه ليلة الغد !

أحاديث وذكريات

إنّ شهر رمضان الكريم الذي حلّ بين ظهرانينا الآن لهُ وَقْعة الخاص على المسلمين ، وأيامه ولياليه لها طعمها الأثير ، كيف لا وشهر الصيام هو شهر الخيرات والبركات ... ومن هنا يحرص الصائمون بعد أداء صلاة التراويح على الجلوس في مجالس خاصة أو في حلقات عادة ما تتم بحضور مجموعة من الأصدقاء ، غالباً ما يتصدر مجلسهم رجل كبير السّن أو من ذوي الثقافة والعلم ليداون الحديث لتمر أمامهم شرائط الذكريات الماضية والحاضرة .

وتُعبّر المجالس بصورة عامة عن حُبّ الضيف وتقريب الغريب ، والمجالس العربية واحدة من العادات التي يتمسك بها الناس حتى بعد التطور الحضاري الذي شهدته الحياة بكل نواحيها ... فهو إرث انتقل من السلف الى الخلف في كل ربوع العرب .. وعلى الرغم من التطور الذي شهدته حياة الفرد العربي ، لكنّ الذي تغيّر في مجالسهم هو الجانب الشكلي مثل الفراش ومكان الجلوس وخدمة الحاضرين فيها

كانت المجالس العربية في دول الخليج العربي تنظم على فرش يوضع على الأرض كالسجاد عند الموسرين ، أو بوضع حصيرة

عند متوسطي الدخل ... لكننا نلحظ اليوم ذلك التطور الشكلي للمجالس إذ تفرش المجالس كاملة بالسّجاد الحديث وتوضع المقاعد على جانبيّ المجلس ويجلس الحاضرون حسبما يشاؤون .

من الفطر الى السحور

وبغية التعّرف على مجالس رمضان هنا في الامارات يحدثنا الأستاذ حسن قايد عنها في كتابه «بادية الإمارات تقاليد وعادات» بأنّ المجالس في رمضان لها مذاق خاص . وتدار عادة بطريقة تختلف عن أيام السنة الأخرى . والتغييرات التي تحدث للمجالس أيام رمضان يمكن أجمالها في أن رمضان شهر القيام والعبادات والسهر حتى أذان الفجر . ويضيف عن الزيارات العائلية ومضاعفتها في ليالي شهر الصيام قوله :

تتضاعف تلك الزيارات عدة مرات في ليالي شهر رمضان كما أنّ الحديث وتبادل السوالف عن ذكريات مضت وأحداث في الطريق إحدى مظاهر لقاء الناس في رمضان ولهذا فإنّ أبواب المجالس عادة لا تقفل في ليالي الشهر الكريم إلاّ بعد تناول طعام السحور وإذا شئنا أن نتواضع فإنّ المجلس لا يقفل أبوابه إلاّ بعد أن يتأكد صاحبه أنّ الزوار قد انقطعت وفادتهم . ولم يعد متوقعاً قدوم أحد . وفي المجالس الكبيرة تجري الأحاديث الثنائية والجماعية وعادة ما تكون في أمور ممتزجة بين الدين والدنيا . فالبعض يتحدث عن التجارة وتعقد صفقات بالفعل أثناء الجلسات وتقدم للضيف القهوة العربية وفنجان الشاي وفوقهما أصناف أخرى كالهريس الذي يقدم طوال الشهر وهو ليس طبقاً خاصاً في رمضان وكما يقال (الهريس وجبة كل عريس) وإضافة للهريس يقدم لضيوف المجلس الثريد وأطباق الفواكه المشكلة.

صدارة المجلس

وينقلنا حسن قايد ليصف المجلس الرمضاني فيقول : في صدارة المجلس يجلس كبير الأسرة سنّاً ومركزاً ولأنّه أكبر رجال المجلس سناً فإن عليه أن يتقبّل السلام والتحية من كل الضيوف ثم يؤمن لهم بالجلوس . وغالبا ما كان يجلس بجانبه أحد الشخصيات الدينية .

ويتقاطر الضيوف على المجلس بعد أداءصلاة التراويح في المسجد . ويتوزع أفراد الأسرة في عدة أماكن في المجلس ليحققوا توزيع جهود الحديث مع ضيوفهم .

ومن عادة بدء الكلام فإنّ الحديث لا يحلو عند الحاضرين إلاّ بذكر الصلاة على النبي وذكر الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يحلو إلاّ اذا قيل بصوت جهوري مسموع .. ولم يكن غريبا عن عاداتنا - يضيف قايد - أن يدور بشكل جماعي بمعنى أنّ المتحدث يتحدث الى الناس وهم ينصتون الى هذا الحديث القادم من مصدر واحد - كبير الأسرة - ولهذا كان إذا قال أحدهم (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) اهتز المجلس بترديد الشهادتين وبصوت جماعي من أفواه الحاضرين .

رمضان

شعائر .. وعادات .. وتقاليد

■ د . محمد رضوان الداية

■ شهرُ رمضان في التقويم العربي واحدٌ من شُهور السّنة القمرية ، وترتيبه التّاسع بَيْنها .

ولم يكن له في الجاهلية مزية على غيره من الشُّهور في ما نعرف . وقد وصل الينا تفسير اسمه ، وسبب هذه التّسمية ، فقد كان للشهور أسماءٌ أخرى قبل هذه الأسماء المعْروفة ... وحين جرى تغيير الأسْماء صادف أن كان وقت هذا الشهر في الحرّ فسمّي باسم بناسبه ، وهو اسم رمضان المأخوذ من رَمَض الحرّ أي : شدّته . وللاسم تفسيرٌ آخر يناسب الصّيام . لكنّ هذا الشهر اكتسب خصوصيّة وتميزاً عن غيره من الشّهور كما ورد في كتاب الله الكريم ، والحديث النّبوي الشريف : فهو شهرٌ نزل فيه القرآن الكريم ، وفيه ليلة القَدْر ، وهو شهرٌ وقع التكليف بصيامه على الوجه المعْروف شرعاً ، من الفجر الى غُروب الشمس . ومن خصوصية هذا الشهر الثّوابُ العظيم الموعود به كما في حديث رواه مسلم : ((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبع مئة ضعف)) قال الله تعالى : (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ..) وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه)) متفق عليه .

- والأحاديث كثيرة في هذا الموضوع ، ومشهورة جداً .■

■ - وقد بدأتُ بهذه المقدمة ، لكي أُبيّن أنّ هذا الشهر الكريم له خصوصيّة عند المسلمين منذ عصر الإسلام الأوّل ، وأنّ الناس التفوا إليه بالتكريم والتعظيم ، وأداء الواجب المفروض فيه ، والزيادة بما يُستطاع من النوافل ، وأنواع التطوع بكل ما هو خير .

وهكذا بدأ الالتفات الى شهر رمضان باعتباره موسم عبادة : يقضي الناس نهاره بالصيام ، والالتزام بأحكامه من الصوم عن كلّ ما يفطره ، والامتناع عن كل ما يخدش نصاعة الطاعة من قول أو عمل ، ويُحيون ليالي الشهر بقراءة القرآن الكريم ، وحفظه وتدبُّره ، ومُدارسته ، وأداء صلاة التراويح ، ويعتكف من استطاع منهم في العشر الأواخر ، ويلتمسُ ليلة القدْر ، ويزيد في ألوان الطاعات والبر ... حتى إذا وصل الشهر الى أواخره وحان وقتُ زكاة الفطر : أخْـرج النـاسُ تلك الزكاة وفرّقوها راضين طائعين ...

وأول ما يُذكر من عناية إضافية بالمساجد لمناسبة رمضان هو إنارة المساجد في ليالي رمضان روي أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرّ ليلةً على المساجد في رمضان فوجدها مضاءةً ومُزدانة من الدّاخل والخارج بالقناديل فقال : ((نوّر الله على عُمر بن الخطّاب في قبره كما نوّر علينا مساجدنا)) يشير الى ما صنعه عمر رضي الله عنه من الاحتفاء بإنارة المساجد والعناية بها .

وتفاعلت قضيّة ظهور العادات والتقاليد المتعلّقة برمضان تفاعلاً ذاتياً ، انطلاقاً من طبيعة الشهر الكريم ، ومن السُّنن والآداب المتعلّقة به ، مثل :

- تحَري رؤية الهلال ، وإثبات دخول الشهر ،
- قراءة القرآن الكريم في المساجد ،
- الاعتكاف في المساجد
- تقديم وجبات الإفطار للصائمين ، ومدّ الموائد خارج الدُّور للقاصدين ، والتفنن في المأكل وأنواع الحلوى .
- العناية بالإنارة الليلية بما يلفتُ النّظر ، ويُضفي على الجوّ العام ما يشير الى خصوصية ليالي رمضان ..

الى غير ذلك من وُجوه الاعتناء والاحتفاء ، والتعظيم والتكريم ، مما جرى مجرى العادة ، والتقليد الجاري .

وكان للخلفاء والحكام والولاة ، وللعلماء أيضاً أثر في زيادة الحفاوة بهذه العناصر التي ذكرناها وبغيرها ، زماناً بعد زمان وبلداً بعد بلد ...

لا يذكر المؤرخون في تواريخهم ، ولم يردْ في أثناء الكتب الأخرى مثل كُتب التراجم ، والآداب العامّة ، وكتب المسامرات والأخبار ما يدلّ على ظُهور عاداتٍ وتقاليد مميّزة لشهر رمضان أكثر من العناية العامّة التي أشرنا إليها ، والالتفات العام الى شعائر رمضان ، والمأثور فيه من السّنن والآداب ، واحتفاء كل بلد بحسب إمكاناتها ، والتوسعة على الأهل بما يكون عندهم من مأكل وأشربة وحلْوى ، وإكرام الضيوف بمثل ذلك أيضا ... ولم تختلفْ الحال كثيراً أيّام الأمويين وصدْراً من أيام العباسيين .

وشيئاً فشيئاً بدأت تتشكّل تلك العادات و((التقاليد)) ذات العلاقة بشهر رمضان وهي عاداتٌ وتقاليد تجمعت من العصور المختلفة ، وتلوّنت في بعض البلدان بألوان خاصّة أحياناً ، وكانت مشتركة بين بلاد المسلمين في أحيان أخرى ...

وفي الوقت نفسه هي عاداتٌ وتقاليد لا تتدخّل في الصيام نفسه من حيث كونُه عبادة (مخصوصة بأحكام معروفة ، ولكنها تلوّن استقبال الناس للشهر ، وكيفية تحَري هلال رمضان ، والوسيلة - أو الوسائل - المُتبعة لإشهار إثبات دخول الشهر ، وتتعلّق بكيفية إكرام الضُيوف الذين يقدَم لهم الإفطار ، وبالألوان التي تُقدّم ، أو كثرة العناية بها حتى صارت ملازمة لشهر رمضان ، ولا توجد في غيره من شهور السّنة ، وتتعلّق بكيفية ترتيب قراءة القرآن ، وبأدابهم في ذلك ، والاحتفال بآخر يوم جمعة في هذا الشهر الكريم ...

وبالتفات الصّغار الى الشهر بأهازيجهم ، وأحياناً بالفوانيس ... (القناديل) ، وصار لرمضان خصوصية أخرى في عاداتهم في نظام الصّحو ليلاً للسحور ، وظهور شخصية ((المسحّر))

الى غير ذلك مما رسَخ في عادات النّاس وتقاليدهم ... مما يلوّن الحياة الاجتماعية ، ويُلقي بظلال خاصّة تستقرّ في النفوس وتُحفظ مع الذكريات ... والخلفاء الفاطميّون منذ أن استقروا بمصر ، وجعلوا القاهرة - التي بناها لهم جوهر الصقلّي - عاصمة لهم ، التفتوا الى أمور كثيرة تتعلّق بكيفيّة ظهورهم للناس ، ومُعايشتهم للمناسبات المختلفة ، وعنايتهم بمظاهر مختلفة لها صلةٌ بأحوال دينية أو دُنيوية ...

فقد كان المُعزّ لدين الله الفاطمي أوّل مَنْ جعل ولائم الإفطار في رمضان عادةً لتكريم العُلماء والفُقهاء ، وأقام ولائم مماثلة في المساجد وغيرها للفُقراء والغُرباء والمُهاجرين المقيمين طوال الشهر الكريم .

ووسّع إطار هذه الموائد وصارت تشمل الثلاثة الأشهر المتوالية : رجب ، وشعبان ورمضان ، إضافة الى العيدين : عيد الفطر وعيد الأضحى ...

وصار الخروج الى رؤية هلال رمضان عادة يؤديها الخليفة الفاطميّ مع العُلماء والفقهاء ، يخرجُ في موكبٍ فخم تحُفّ به الحاشية والجُند وتُرفع له الرّايات والشارات ، ويرى الناس هيئة عظيمة باذخة ، يقول وصفٌ لأحد المواكب : إن الخليفة خرج وعليه كساءٌ طويل فخم أبيض ناصع البياض يركب بغلةً عاريةً عن كل زركشة أو زينة (تواضعاً) والى جانبه الوزراء والكبراء وهم في أبهى زينة ، يتقدّمهم عشرة آلاف فارس بالدروع والثياب الخاصّة على خيول مُطهمة ، يلحقّ بهم صفوفٌ من الجمال المكسوّة بأبهى الهوادج ذات الألوان يقودها الفرسان ، ويتبعهم المشاة من الجنود في صفوف متلاحقة فيهم المغاربة والبربر وغيرهم ... ويلي هؤلاء سلسلة أخرى من رجال الحاشية وموظفي الدّولة على اختلاف مراتبهم ، والتجار ، والشعراء والعُلماء ...

وفي طريق العودة يزيد الموكب ألقاً بظهور عربات صغيرة تحمل الشموع الضخمة والقناديل لإضاءة الطريق .. ويتجمهر الناس على طرفي الطريق معهم

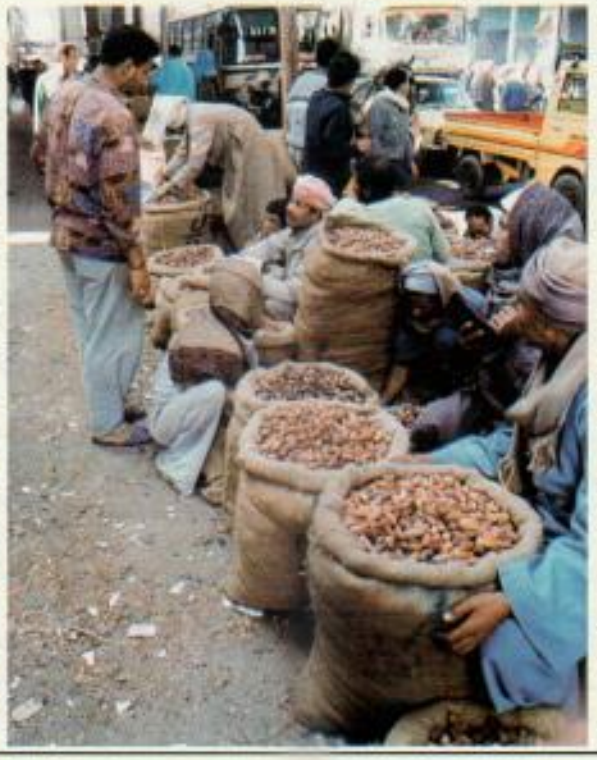

الشموع والقناديل (القوانيس) ، والمتاجر والمحلات المختلفة قد ازدانت بأنوار ساطعة من كلا الجانبين ... وفي أثناء ذلك ينثر الخليفة الدنانير ويستمع الى أصوات الناس وهي تلهج بالدعاء له ... فإذا بلغ الموكب القصر الخلافي استقبله المُنشدون بالأدعية والأذكار ... هنا ... يذهبُ الخليفة الى خزانة ملابسه ويختار كسوة جديدة مناسبة ويخرجُ ليجد الحرّاس وقد حملوا أواني مملوءة بالدنانير والهدايا الثمينة ليوزّعها على الحاضرين .

وفي العادات والتقاليد التي سُجّلت من زمان الفاطميين جلوس الخليفة بعد التراويح للاستماع الى القرّاء والمُنشدين ، والوعاظ والشعراء مرتبين على مراتبهم ... إضافة الى الموائد التي تقام يومياً على الإفطار وعند السّحور ...

ومن العادات التي شاعت بعد ذلك إقامة الزّينات من جامع ابن طولون الى جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وأداء الخليفة أو الحاكم فريضة الجمعة الأخيرة من رمضان في جامع عمرو ...

وميّزوا آخر جمعة من رمضان باسم الجُمعة اليتيمة ...

وبلغ الاحتفال الرسمي والشعبي بشهر رمضان في أيامه ولياليه ذروته على أيام الأيّوبيين والمماليك ، واستمّر مع شيء من التلوين والإضافة أيام العثمانيين ...

فقد استمرّت العاداتُ والتقاليد التي اعتادها الناس في الأعصر السابقة ، ومما زادوه : قراءة صحيح البُخاري من أوّل رمضان في الجامع الأزهر حتى يُختم في ليلة العيد ، في احتفال مهيب يحضرُه السّلطان ، وقضاة المذاهب الأربعة ، وتوزّع على العُلماء والفُقهاء الهدايا المناسبة إضافة الى ما يوزّع على الفقراء والأيتام والأرامل والمرضى والمهاجرين وعلى طلبة الأزهر ...

وجرى تعديل في إثبات رؤية هلال رمضان وصار قاضي القضاة ومعه القضاة الأربعة مع رؤساء الصناعات والتجار للمشاهدة فإذا ثبتت الرؤية أضيئت الأنوار في المآذن والمساجد والحوانيت ، ورجع قاضي القضاة وحوله حملةُ الشموع والقناديل (القوانيس) والمشاعل ... واحتفل الناس بالشهر في أيامه ولياليه على امتدادها ...

وأحدثت في زمن المماليك عادة وقف الأوقاف للصّرف على البرّ في شهر رمضان إضافة الى التوسّع في إقامة المشاعر الإسلامية وعمارة المساجد والانفاق على الأرامل والأيتام وغيرهم ، ووجوه البرّ الأُخرى ...

وشمل الاحتفاء بأيام شهر رمضان ولياليه بلاد العرب والمُسلمين من أقصى الغرب في الأندلس وبلاد المغرب الى أقصى الشرق عند الصّين ...

ومن باب التوسّع في النفقة على الأهل وإكرام الضّيوف وسائر الزوّار : تفنّنوا في المآكل والأشربة وألوان الحلوى ... وارتبط رمضان في بلدان كثيرة بأنواع من الحلوى كالبرازق والغريبة والمقروك (نوع من الخبز المحلّى) والكنافة والقطايف ، وأنواع من الحلاوة الجوزية والسمسمية والقنبيّة .. الخ وبأشربة خاصة مثل شراب عرق السوس ، وقمر الدين ، والتمر الهنديّ ، وحفظوا لرمضان أشربة من عصير الفاكهة ... وعرفوا بالأندلس والمغرب ألواناً من المعجنات والمُجبّنات (تصنع من الجبن ألوان كثيرة) والمشبّك ، والزّلابية ، والمقروض ...

ومن أجل الثّواب ، ومن وراء فكرة التآخي والتراحم بين المُسلمين درج القادرون وتتوسطو الدّخل على إقامة الموائد للضيوف والعابرين والمهاجرين وغيرهم ... وفي البلاد ذات الاستقرار المناخي كانوا وما يزالون - يُقيمون الموائد خارج الدّور في الهواء الطّلق أو في خيام خاصّة خارج البيوت ...

ومن أجل إحياء سُنّة السّحور توسعوا في ذلك ، وظهرت شخصية مُسحّر رمضان الذي يُوقظ منّ نام ، ليتناول سحوره ، ولا يغفل عن صلاة الصبح وصارت للمسحّر مهنة معروفة مداها شهر واحد في العام ، ونشأ فنّ أدبيّ خاصّ بما يُنشده المُسحّر هو فنّ (القُوما)

لا زال سعدك جديد
دايم وجدّك سعيد
ولا برحت منهنّا
بكل صوم وعيد
في الدّهر أنت الفريد
وفي صفاتك وحيد
والخلق شعر منقّح
وأنت بيت القصيد

كقول الأبشيهي يمدح بعض الخلفاء مما ينشده المسحر (ويقال له في مصر المسحراتي)

وعرفت المجالس والمقاهي نشاط الحكواتي (أو الشاعر أو القصاص الشعبي) الذي كان يسرّد على الناس السّير الشعبية مثل سيرة عنتر وأبو زيد الهلالي ..

وعُرف في مصر شاعر الربّابة والمدّاح (أو شاعر المواويل) ...

وكان شهر رمضان مجالاً لتقديم فُصول كركوز (خيال الظّل كما كان يسمى) في بلاد الشام ، وتقديم الأراجوز في مصر لتسلية الصغار وترفيههم .

ثم دخل العصر الحديث بآلاته وأجهزته من الإذاعة والسينما والتلفزة إضافة الى نشاط المسرح وظهور الفرق المسرحية والتمثيلية الشعبية . وتداخل الباقي من العادات والتقاليد القديمة بالجديد الذي طرأ حديثاً ... (وهذا يحتاج الى بحث مستقل) لكنّ الرصيد الباقي من تلك العادات والتقاليد ما يزال يؤثر في النفوس ويعطي الأيام والليالي أضواء وظلالاً اجتماعية وثقافية خاصة .. ويربط الحاضر بالماضي والجديد بالقديم ، وينقل الينا شيئاً من عبق التاريخ . ■

عيد الغوص

محمد سعيد الرميثي

إن الصورة المتمثلة للازهان عن الغوص هي الصورة العامة المنطبعة في ذهن كل واحد منا عن معاناة الغواص أثناء عملية البحث عن اللؤلؤ في الأعماق ومحاولة إنتزاعه من مكامنه وهو يحاول جاهداً الإبقاء على نفسه أطول فترة ممكنة ليجمع أكثر قدر من المحار ، ولكن هناك معاناة نفسية أخرى للغواص وهي ما أن يأتي أحد العيدين على الغواص وهو في موسم الغوص حتى يشتاق إلى أهله ويشده الحنين إليهم:-

أودهم وأوي عليهم ولا حيد فيهم غير لحسان

ويتمنى الغواص في قرارة نفسه أن يتواجد مع أهله ولو للحظة ينتعش بها وجدانه وتحرك أشجانه فتراه في اليوم يحاول أن يجمع شتات نفسه ويتصور هذه اللحظات الجميلة في مخيلته ، والبعض الآخر يذهب به هذا الاحساس إلى أبعد من ذلك فيشدو بها شعراً ليخلد هذه اللحظة للاجيال القادمة مثل ما ترنم بها خلفان بن بدعوة المهيري وقد وافاهم العيد في مغاص أم العنبر فأنشد :

يا ناس ما في حالي مزيد
باجي شرى لي ايجاسي يروح
إيلين طافت ليلة العيد
وانتوا على أم العنبر أطروح
بين الذي يلبس مساويد
غلج المواسم مالي افسوح
اليوم ما بجيت مواعيد
للدار لاغادي ولا يروح
وما حل خلي عني أبعيد
كل ليلة تسري له الروح

وقد مر بهذه التجربة الشاعر عبيد بن مبارك بن نبيلا فأنشد وقد فاض به الوجد :-

آه يا من ون من يوفة
يوم كل في الكرى غافي
ونة إلي صفق جفوفة
دمعته من الموق ذرافي
عيدوا والنفس مكلوفة
هوب عيد عند الاشرافي
وين سال المرى أرضوفة
م الزباد اتبن لزلا في
فتر بين الجتف وأردوفه
يوم يدبر معطي الجافي

قامته من النص منصوفه
هوب زري ياك متعافي
لا خلت لعيان من شوفة
لي ودادة في الحشا ضافي
ها لشهر ما ظني اطوفة
جان بي ياناس مارا في

الله يغمد روحك الجنة يا عبيد بن نبيلا فقد أعطتنا قصيدتك لونا من ألوان المعاناة النفسية لقدوم العيد وهم في هذا الموسم (موسم الغوص) ، وقد مر بهذه التجربة الشاعر عبيد بن عتيق الرميثي وكان ذاهباً للغوص مع التوخذا مبارك بن خميس الرميثي وقد وافاهم العيد في الغوص ، وأخذ التوخذا مبارك يشاورهم في أي مكان يريدون أن يعيدوا في المهيم او القفاي وهذين المكانين عبارة عن حول وهذا الاقتراح لم يسر شاعرنا عبيد بن عتيق الرميثي فأنشد :-

يا توخذا ما بينهن فرق
ثر عيد المهيم وقفاي
يتفاقدن لي فيهن الذرق
لي ما عليهن كود تفاي
يسقي على لوئونا شرق
لمجربين اليوش مقفاي
في خن ساعي يقطع الطرق
من يوم روس الموي تفاي

هنا الشاعر يبين وجهة نظره وبأنه لا فرق في العيد بين هاتين الحالتين وفيهن بقايا مخلفات الطيور وبأنه لا يوجد عليهن مخلفات الغوص من المحار (كود تفاي) وبأنه يتمنى بأن تكون جهة سيرهم نحو أبوظبي ورمز لها بالشرق .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحمي دولتنا من كل شر وتدوم الأعياد والمسرات ويطول عمر بو خليفة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة ورافع لواء النهضة والذي في عهده أصبح لشعبه مكانة عالية بين الشعوب ما علينا إلا الحفاظ عليها بإذن الله نكون عند حسن ظنه وسلمتوا ونلتقي وياكم على خير في العدد القادم إن شاء الله .

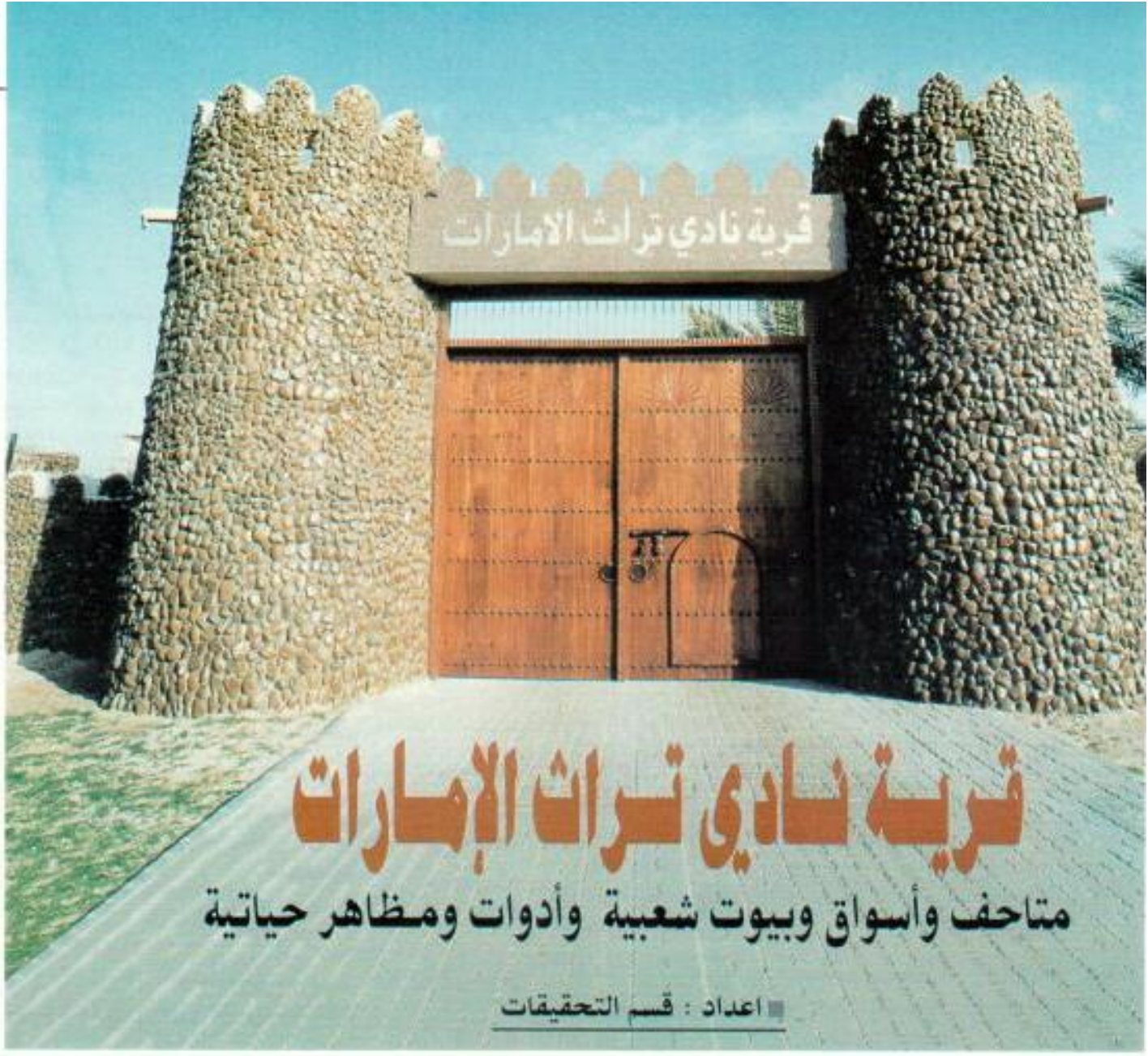

قرية نادي تراث الإمارات

متاحف وأسواق وبيوت شعبية وأدوات ومظاهر حياتية

اعداد : قسم التحقيقات

الإسم: قرية نادي تراث الإمارات ، والمكان : هو منطقة كاسر الأمواج المطلة على مدينة أبوظبي ، مكان تزيد مساحته عن: (١٦,٨٠٠) متر مربع بقليل ، شيدته أيادٍ خيِّرة لينعم بجماله وأصالته أبناء الوطن المعطاء.

■ وهذه القرية التراثية التي يتوافد عليها الزائرون بأعداد كثيفة للتمتع بمعالمها ودراسة محتوياتها ما هي إلاّ واحدة من اللفتات الكريمة السامية لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله ، ورعاية كريمة من لدن سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس نادي تراث الإمارات بهدف إبراز الجوانب التراثية لدولة الإمارات العربية المتحدة ، وذلك من أجل تجسيد حياة الآباء والأجداد وربط الماضي والحاضر من خلال عرض توثيقي جمالي دقيق لحياة الأمس ، ومعاناة الأجداد والآباء ، فلولا نضالهم وصبرهم وقبضهم على جمر الأصالة المتوارثة ، لما كان كل هذا الفيض من البهاء وعناوين الحضارة التي تتصدرها لافتات تضع هذا البلد وتاريخه أمام موجات الزمن ، وخير لافتة يظل محتواها منقوشاً في الذاكرة والوجدان مقولة صاحب السمو رئيس الدولة حفظه الله ((مَن ليس لهُ ماضٍ ليس لهُ حاضر)) .

وما بين الماضي والحاضر عبرنا جسر الزمن الى هذه القرية الحالة التي تغفو ليل نهار على شاطئ تتكسر أمامه الأمواج ، حيث تربض هناك قصص وحكايا ظلت شاهداً أميناً على عصر لن يندثر .

■ وأولى حكايتنا تبدأ من البوابة الشاهقة للقرية التي بنيت على طراز القلاع والحصون القديمة . حيث بدت ملامح الإبداع في هذا البناء الذي طرزته مئات الحجارة المستخرجة من شواطىء البحر ليصبح المكان كله جزءاً متكاملاً يشير الى أنّ بناة هذا المعلّم لم ينسوا استثمار كل ما اختزنته الطبيعة من خامات وخيرات .

وبعد أن اجتزنا هذه البوابة الجميلة طالعتنا لوحة إلهية غاية في الروعة ودقة التصميم ساعة أن كانت الشمس ترسل جدائلها الذهبية لتغمر بها عدّة بيوت وأبواب ونوافذ تمكنت من أن تتجاوز بروحها التي هي روح الإنسان التي شيدها وعاش في رحابها قديماً من الاستحواذ على مدركنا البصري كله . هذه البيوت القديمة وإن بدت للبعض منزوية أو مهجورة من ساكنيها إلاّ أنها تمثل فناً انسانياً لا يُضاهى . ويتصدر بيت البحر خريطة المكان - البيت - الذي كان ملاذاً لأهل البحر بعد أن يهدأوا قليلاً من لفح البحر والهجير . وهناك ثمة أشياء وتفاصيل ومفردات يفوح عطرها على الزائرين كما البخور حينما يفترش الأرض والبحر على حدٍّ سواء .

بيت البحر : متحف لذاكـــرة لا تشيـــخ ؟!

كان أهل الساحل يسكنونه واستخدموا فنوناً متعددة في بنائه وتزيينه وتصميمه بما يتناسب ومواجهتهم للظروف الطبيعية والمناخية بحكم جيرتهم الملاصقة للبحر ، هكذا بدأ السيد دلوك سعيد المهيري مدير قرية نادي تراث الإمارات بالانابة الذي رافقنا في جولتنا كما روى لنا عن أقسام ومرافق هذا البيت البحري وقال : إنّها تتكون من الخيمة التي تُعد بمثابة سكن العائلة أو الإعاشة وتضم أفراد العائلة الواحدة . باستثناء الابن الأكبر المتزوج أو البنات ممّن هُنّ في سنّ الزواج ، أو الآباء والأبناء الكبار في السنّ حيث تخصص لهم خيمة ملحقة يمارسون فيها حياتهم الخاصة .

وفي الخيمة سرير نوم خشبي قديم، وفرش للجلوس على الأرض مصنوعة من القطن أو الصوف ، وفيها موقد للنار للتدفئة أو لعمل القهوة ، والأرضية مفروشة ومغطاة بالحصير المُحاك من سعف النخيل وتضم الخيمة على سرير (مهد للأطفال) المولودين حديثاً ، إضافة الى الفوانيس لإنارة الخيمة في الليل وبعض الأثاث الذي تستخدمه العائلة للجلوس أو كغطاء لهم ، هكذا قال لنا دلوك ودعانا للانتقال الى السبلة - مكان جلوس الضيوف - حينما كان ربّ الأسرة يستقبل ضيوفه لينسجوا في جلساتهم حكايا البحر وقصص الصيد والغوص على اللؤلؤ في أعماق البحر . ويستطيع زائر بيت البحر أن يعبر بناظريه من السبلة الى مكان صغير لا تزيد مساحته عن مترين مربعين مُشيّد كله من سعف وجريد النخيل يُعرف بـ (مكان تجهيز المائدة) وهو بمثابة المطبخ بلغة اليوم . وما زالت البئر المكان الذي يحتل مساحة مهمة في حياة الإنسان الإماراتي القديم ، بالبئر هي حلقة الوصل بينه وبين البحر ، حيث كان يأخذ الماء منه لأغراض استخداماته اليومية ولسقيّ حيواناته . وتُعرف البئر باسم (خريجة) ، ولم يفت على بال أهل سكان بيت البحر في تصميمهم لهُ من بناء برج عالٍ يرتفع من وسط البناء واطلقوا عليه إسم (البارجيل) اتخذوه كمصدر لتهوية المنزل في وقت الصيف .

وبيت البحر كغيره من بيوت القرية استخدمت في بنائه جذوع الشجر وسعف النخيل بينما غُطيَ سقفه بـ (بالبزية) المصنوعة من اعداد من خوص النخيل التي تمنع تسرب قطرات المطر .

العين : عريش .. وزاوية لوضوء المرأة

وبينما كُنا نهم الى زيارة بيت العين الذي بناهُ الأجداد في المناطق الشرقية من الدولة سبقنا إليه مجموعة من تلاميذ مدرسة (ليسيه لوي سينيون الفرنسية) ضمن إحدى الزيارات التي يخصصها المشرفون على القرية للزوار والمؤسسات لتعريفهم على ما تضمه من محتويات ومرافق ... وفي حضرة أجيال عدّة عشنا سويعات في رحاب هذا البيت المكون من العريش - ميرد - من الأمام، وكذلك المطبخ الذي يبعد عنه بضعة أمتار ، وفي بيت العين تُخصص منامة .. في حين ينفرد فناء البيت على منامه ليلية لمنام الأطفال والكبار وهي مصنوعة من جريد النخيل ... وفي احدى أركان هذا البيت الجميل هناك زاوية خُصصت لوضع الماء لتستطيع المرأة من الوضوء لأداء الصلاة .

ويستطيع الزائر دون عناء كبير من الحصول على متعة مشاهدة خاصة للكثير من المرافق الحيوية للقرية التي توزعت على مساحة أرضية واحدة جعلت فيها بانوراما صوريّة للتشكيل التراثي القديم ، فقد بني سوق شعبي يتألف من تسعة دكاكين يديرها حرفيون يزاولون بضعة أعمال حرفية وشعبية وصناعات يدوية تقليدية ، ويجاور هذه الدكاكين مكان صغير يعرف بمصنع الحلوى . وفي مقابل السوق الشعبي لا بد للعين أن تنجذب لتشاهد بناية أقيمت على غرار القلاع القديمة ضُم بداخلها متحف زاخر بعرض المواد التراثية من سيوف وبنادق ، وخناجر ، وحليّ وملابس وأدوات للصيد التقليدية .

وفي مشهد لا تنسى العين طرافته وحركته ، يقوم ثور ضخم يتحدي هدير المكائن الحديثة إذ يرفع بحركه مستقيمة الماء من عمق البازرة - البئر - بواسطة قربة جلدية أعدت خصيصاً لحفظ الماء ورفعه الى الأعلى ثم سكبه باتجاه الساقية ليصار جريانه عبر قنوات صغيرة لسقي المزروعات ولاستخدامه اليومي للانسان والحيوان . وهذا ليس كل ما هنالك فلا بد أن يرتاد الزائرون أمكنة مثل المشاغل اليدوية النسائية حيث تقوم بعض النسوة المتقدمات في

السن بصناعة عدد من الحاجات الضرورية للحياة اليومية التي استخدمها الناس سابقاً مثل : صناعة الخوص ، والمشب ، والسرود - عبارة عن خوص يوضع عليه الطعام - والجفير - وعاء من الخوص توضع فيه الملابس والحاجيات ، والقفة - التي يوضع فيها الأكل والتمر - إضافة للمجبة - المصنوعة أيضا من الخوص ليتم تغطية الطعام بها .

وبجوار المشاغل اليدوية أنشيء مسجد على الطراز القديم وتعلوه منارة ذات أقواس أفيد في بنائها من نماذج البناء الإسلامي التي تجلّت في مجموعة الأقواس والمنحنيات التي بدت على شبابيك وأبواب المسجد .

المجلس مُلتقى أجيال من شعراء النبط

امتدت جولتنا في قرية نادي تراث الإمارات ما بين المكان والإنسان يختلط الشعر والحكايا ورواية القصص وشؤون الحياة كلها في مكان يطلقون عليه (الحظيرة) وهو أشبه بمجلس مبنيّ من جريد النخيل ومفروش بالحصير ، يتوافد اليه نفرٌ من الرجال يشكلون عدّة أجيال ، ودلفنا الى مجلسهم بعد أن تعالت أصواتهم بالجدل والحوار وتطارح الشعر النبطي فيما بينهم ... وتوسط جلّستنا السيد / محمد بن مطر بن حسّين الكتبي) الذي يمتلك مخزوناً وذاكرة ثريّة عن الحياة البريّة في الدولة بصورة عامة وفي القرية بصورة خاصة ، ولما انطلق على سجيته راح يُخرج من خزائن الماضي معلومات حول فوائد وطبابة بعض النباتات البريّة والأشجار حيث كانت موضع الإنسان الإماراتي في سالف الأيام وأشار الكتبي الى شجرة مُعمّرة تعيش

على الندى أو الضباب وقال أنها تُدعى (الغاف) أو (الغاف) باللهجة المحكية .

ووصف منافع عدة لها أهمها استخدام هذه الشجرة كدواء شعبي لعلاج مرض عيون الابل ، كما استخدمت في علاج آلام المعدة عند الإنسان .

وأضاف مبيناً استخدامات أخرى للغاف مثل تقديمها طعاماً للإبل والأغنام وثمرتها التي تُدعى (الحنبل) لها مذاق حلوٌ يجذب إليه الإبل والهوام السارحة وسط الصحراء .

واذا كانت شجرة الغاف تُعمّر مدة خمسين عاماً فإنّ (الحُبيّة) وهي نبتة أرضية تعيش على الأمطار لا تعمر لأكثر من خمسة عشر عاماً . والحبيّة قد تجفّ لكنها لا تموت فلديها قدرة أخرى على معاودة الحياة ، وعدد السيد/ محمد بن مطر استخدامات (الحُبيّة) وذكر أنّ الناس قديماً استعاضوا عن القهوة بحبوبها وصنعوا منها قهوة لا تقل في مذاقها عن القهوة الأصلية فهي تحتوي على مادة منشطة تُعادل مادة الكافايين الموجودة في القهوة ... وأراد الكتبي أن يُعدّل من اسلوبه السرديّ باسلوب تطبيقيّ حسيّ حينما أخذنا الى شجرة تدعى (المرخ) زُرعت حديثاً في أحدى مساحات القرية التي استنبت فيها مجموعة من النباتات البريّة والأشجار القديمة . وتُطلق (المرخ) في العادة ورود صفراء اللون تسمى (اليباب) التي

تحتوي على رحيق لذيذ هو مصدر طعام النحل وانتاج العسل أما أغصانها فتؤكل غضّة لمعالجة منْ لديهم دودة شريطية .

وانتقل الكتبي بنا الى شجرة أخرى قيل أنّ اسمها (الأرطة) ذكرت في قصائد الشعراء العرب قبل الإسلام ومنها نوعان هما : (الفرّاخ والبعاد) وتُعد أغصانها بمثابة دواء شعبي لمسك البطن كما يعرفها صاحبنا (لعلاج الإسهال بمفهومنا الحالي) .

ومن الطريف مما عرفناه عن شجرة الأرطة أن أهل البادية استخدموها ضمن زواداتهم تحت إسم ((مكيكة)) وسرعان ما أوضح الكتبي أن (المكيكة) هذه ما هي إلاّ السلطة التي تزيّن بها موائد طعامنا اليوم . وأهم مكونات (المكيكة) هي : سمك صغير مطحون ويسمى (جاشع) وبصل وفلفل أسود .

أما عيدان الأرطة حين تجف فتُعرف بـ (العثم) الذي يستخدم كركون للرب الماء أو الحليب . بينما تُصبح سيقانها حطباً للموائد ويتخذ من أغصانها الطويلة كعصيّ واتخاذها بمثابة حبال لربط حُزم الحطب وتعرف هذه العروق بـ (الجازول و المُرار) .

وفي طريق عودتنا حيث جلستنا في الحظيرة ودعنا آخر شجرة عرّفنا بها مُحدثنا وهي شجرة (الأشخر) ذات الورق العريض واللون الرمادي وهي مصدر طعام لحيوان (الدُغلي أو القنفذ) . وأخبرنا أنّ حطب هذه الشجرة يصلح كمادة لصناعة البارود إذا ما أضيف إليها مادتاً الكبريت والزرنيخ الأصفر .

وحينما ودعنا الكتبي ورفاقه على بعد خطوات من مكان جلستهم في القرية بدا لنا الرجل نصف طبيب شعبيّ أو صيدلية متنقلة تحتوي كُلّ هذه الثروة المعلوماتية التي تغني إنسان اليوم عن الكثير من الأدوية التي تصدرها مصانع الأدوية المختلفة مستذكرين في وداعنا لهُ المأثور الشعبي : (إسأل مُجرّب ولا تسأل حكيم)

وبعد :

إنّ العين الباصرة لا تستطيع حصر كل هذا البهاء والجمال والتكوينات التي تشكل لوحة تراثية بديعة من المناظر والأشياء المبهرة للنظر ... فما بين تنظيم المعارض المتعلقة بالتراث ، هناك العديد من الفعاليات التي تقدم المتعة والمعرفة لزوّار القرية ومرتاديها فهناك مهرجان يقام في شهر رمضان المبارك ويتضمن فقرات فولكلورية محلية ، وعرضا للعادات والتقاليد والأدوات والملابس التراثية وهناك أشياء كثيرة لم نبح بها إليكم ، فطموحنا أن تشدوا رحالكم لزيارة قرية نادي تراث الإمارات سواء كنتم ضمن وفود سياحية أم رسمية أم طلابية فأبواب القرية مُشرعة أمامكم ما بين الثامنة صباحاً والتاسعة ليلاً . ■

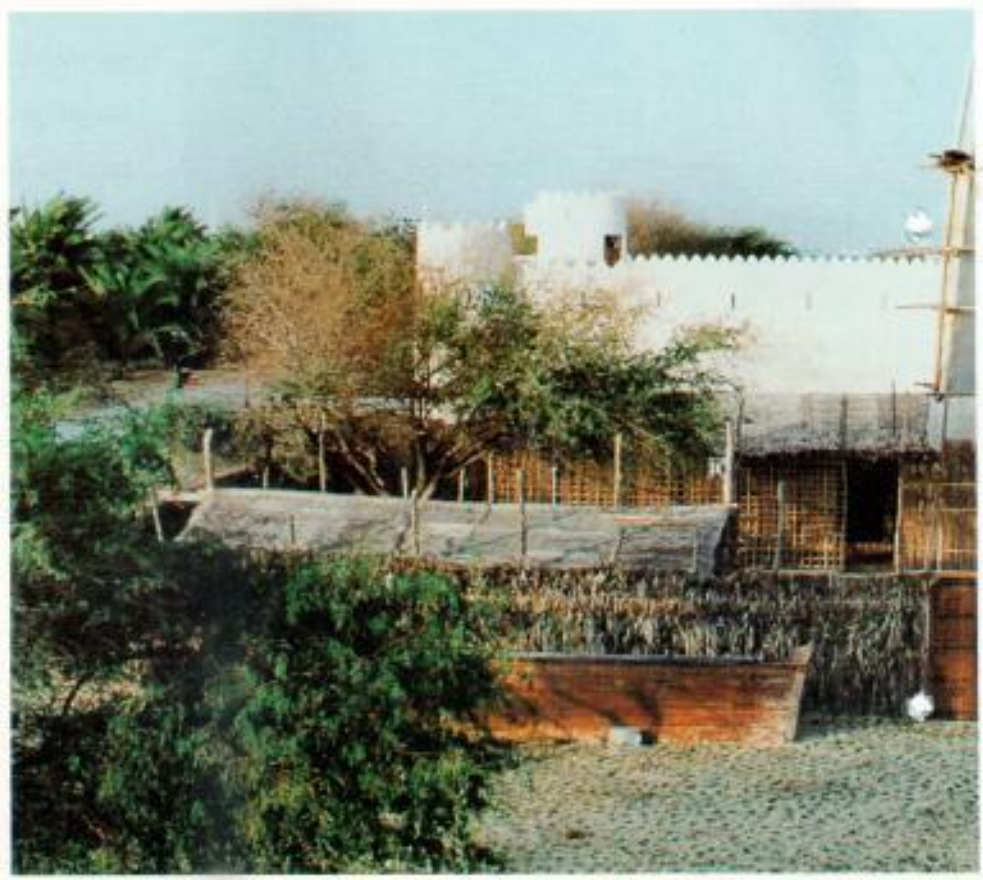

محطات في حياة شخصيات ريادية ورموز ثقافية من الامارات - بالوثيقة - والرواية

ابراهيم بن محمد بن عبد الله المدفع

■ عبد الله عبد الرحمن
اعلامي وباحث

شخصية هذا العدد هو أديبنا الوطني والرائد الثقافي الاجتماعي والصحافي الأول في الإمارات إبراهيم بن محمد المدفع - رحمه الله قيادياً في العلم والعمل الثقافي والاجتماعي والوطني والقومي بين قامات إمارة الشارقة ومعطيات ومآخذ المكان والأحوال والزمن بين الثبات والتحول خلال الفترة من (١٩٠٩ - ١٩٨٣) .والزاد المعلوماتي قليل في رحلة السيرة الذاتية والحياة الأسرية والاجتماعية والثقافية والعلمية والعملية والفردية والجماعية لمثل هذه القامة الباسقة من أبناء الامارات المبررة . يقول أديبنا الراحل ابراهيم المدفع رحمه الله في هذا العدد ..

لا شـــيء يفيـــد ســـوى درس التاريـخ ومـا يجيب
وسنة خـــير الخـــلق بهـــا فتمســـك تبلـغك الـرتب

نحن مع هذين البيتين نواجه حقيقتين تاريخية ودينية - الأولى توجهنا الى أشعة نور العلم والمعرفة في تراث الانسان والمكان والزمن منذ القدم لنتوقف بنا في محطة ثقافية تاريخية هامة قبل قرن من الزمان وتاريخ القصيدة هو عام ١٩٣٣ في حادثة كان بطلها (المدفع) رحمه الله

لكننا بالارتحال بين المراحل والعصور التاريخية نكون أكثر انجذاباً وتيقناً على البيت الثاني من قوله الشعري رحمه الله .

وسنة خـــير الخـــلق بهـــا فتمســـك تبلـغك الـرتب

ذلك إننا في سياق العلم والقراءة والكتابة فتذكر بأن أولى الآيات التي نزلت على قلب خير الخلق ، محمد صلى الله عليه وسلم كان قوله تعالى ((إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم)) .

خمس آيات قصار دعت ونبهت الى خمسة من المعاني العظيمة ((أمر بالقراءة والتتبع وإحالة النظر ، نطق باسم الخالق الرب الأكرم ، لفت انتباه الإنسان لآيات الله في خلقه ، إشارة الى طرق تناول قضايا الحياة الدنيا ، دعوة للإنسان ليستفيد من فضل الله ويتعلم ما لم يعلم)) .

ولعل القصد من ذلك كما تقول الدكتورة عصمت الدين كركر في كتابها ((تأملات قرآنية)) أن تزرع في نفوسنا خمس قيم أساسية هي ارتباط العلم والمعرفة بسمو الإيمان ونصاعته ، وجوب طلب العلم وتنمية المعارف ، اختلاف حالات المعرفة باختلاف خلق الله ، تعدد منهجيات وأساليب الوصول الى العلم بداية من القلم وانتهاء بما وهبه الله للإنسان من عقل ، الإستعانة بفيض الله وكرمه في العمل العلمي .

لقد كان ما كلف الله به عباده في هذا الوحي القرآني أن أمره

صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة ومعالي أحمد خليفة السويدي في لقطة تذكارية مع ابراهيم المدفع

بالقراءة والمعرفة ونبهه الى أن المعرفة المرتبطة بالإيمان والناتجة عنه هي التي تصل بالإنسان الى سمو العبادة، وسمو العبادة هو الذي ضمن للإنسان سلوك مدارج الخير الفردي والإجتماعي.

والأمر بالقراءة في الآيات الأولى من سورة العلق تكليف بالعبادة عن طريق القراءة والتتبع والعلم اليقين الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة . (إن القراءة والنظر والفهم قدر مشترك بين العلم والإيمان حيث يستعمل الجميع أدوات العلم التي هي القراءة والقلم والفكر ويستعينون بها في تقييد العلم وتدوينه) .

إن العلم الحق هو ذلك الذي يتسم بالعطاء للخير والنفع العميم وأن طلب العلم وتقصي المعرفة من أوكد واجبات الإنسان ليكون في مستوى ما كلفه الله به من قراءة وتعلم وكتابة وتدبر وتفكر إن كان من أولي الألباب .

وإذا كان تلقي العلم على المنهج الإيماني واجبا وجهاداً وشرفا يشرف به المسلم فإن ابلاغه الى الناس مهمة من أجل وأعظم ما يتحمله المسلم ، فهو مسؤول عن علمه وماذا عمل به وهو مسؤول عن إبلاغه وعدم كتمانه .

ومن علم وعمل بما علم وعلمه غيره ذكر عند الله عظيماً وإذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له أو كما قال صلى الله عليه وسلم [فرحمة من الله ومغفرة على أرواح الأجداد والآباء] .

وفي مقدمة كتاب «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» يعلن أحمد بن ماجد ابن جلفار رأس الخيمة - قبل ٥٠٠ سنة من الآن عن إيمانه بالعلم مطلقا ويعتبره مفخرة وتجارة وشرفا ، ويؤمن أن علم البحر مفيد في الدين والدنيا ويؤكد أن ما إطلع عليه من تأليف السلف البحرية ضعيف لا يعول عليه ((يتلف الأرواح والأموال)) أما معارفه فصحيحة ومجربة ومستحسنة لدى أهل البحر الماهرين .

ويرى نفسه مدفوعا الى نشرها لئلا تتوارى معه في الرمس فتضيع الى الأبد - ولكي تستفيد منها الأجيال من بعده فيبقى ذكره خالدا بين الناس ، فكتب كثير نثرا وشعرا وأثبت ابن ماجد مقدرة نادرة فعرفه القاصي والداني في سواحل المحيط الهندي ونال حظوة عند بعض السلاطين في جنوب شبه الجزيرة العربية وعلى ساحل أفريقيا الشرقية .

من ذلك العمق الزمني تنبعث بداية أشعة نور العلم والمعرفة في تراث الإنسان والمكان والزمان لمجتمع الإمارات العربي المسلم الممتد في جذوره الى ٥٠٠٠ سنة من الآن وحضارة ماجان وثقافة أم النار .

من ذلك العمق التاريخي الى عام ١٩٣٣ حين زف إبراهيم بن محمد المدفع البشرى للوطن في بدايات نهضته الثقافية الحديثة فأنشد في عرس للكتاب جمع حشودا من طلبة العلم والعلماء وكبار القوم وصغارهم محتفلين بافتتاح المكتبة التيمية في مجلس بجانب البيت الذي تبرع به (حسن المدفع) وعلى ذكر عبد الله بن

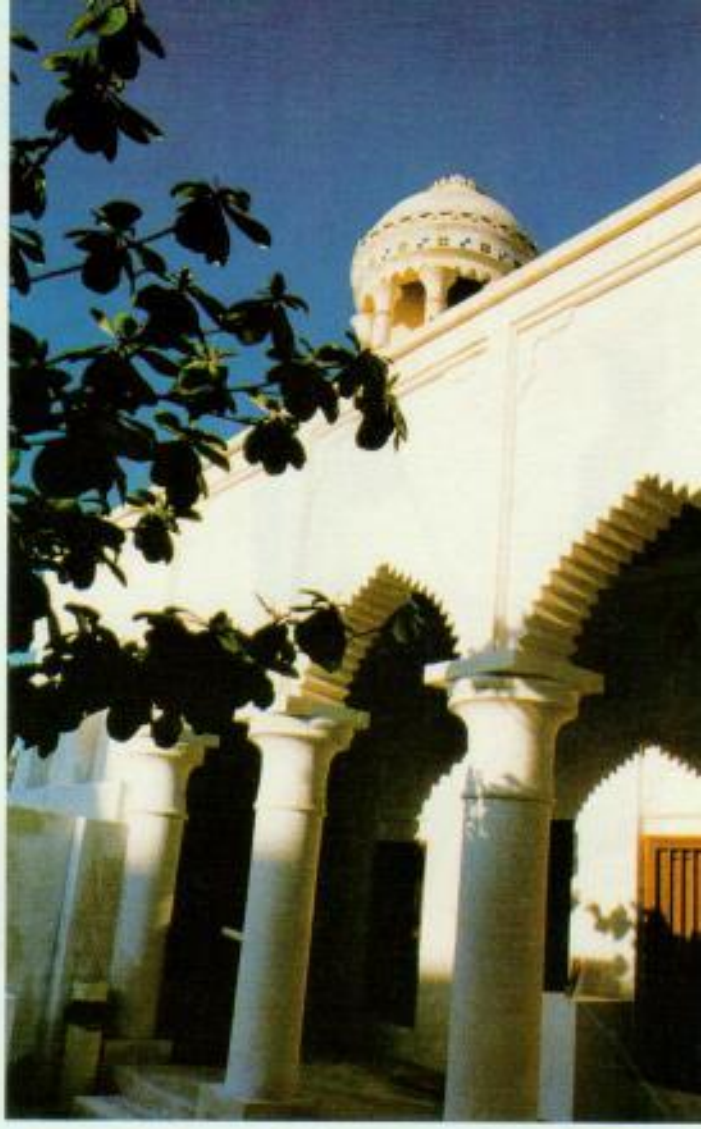

مجلس ابراهيم المدفع الذي تحول الي متحف تراثي بالشارقة

حسن المدفع فإن لكثرة تردده شأنه شأن غيره من تجار اللؤلؤ في المنطقة على الهند خاصة على ((المنتدى)) هناك وهو إسم النادي الذي كان يجتمع فيه الخليجيون والعرب والمسلمون الهنود لتبادل الأحاديث والإطلاع على الكتب والصحف والمجلات وغيرها من الأنشطة فإنه فور عودته الى البلاد عام ١٩٢٣-١٩٢٤ خصص غرفة في منطقة المريجة بالشارقة لتكون ناديا مماثلاً في الشارقة إسمه (المنتدى الإسلامي) ، وكان المنتدى الإسلامي مجلسا أدبياً وفكرياً يلتقي فيه الكتّاب والأدباء والمثقفون وذوو الفكر والرأي ، كما كان تجمعا لكثير من الأدباء العرب الذين تواجدوا في تلك الفترة أو الذين كانوا على صلات به . وكانت هذه اللقاءات تجمعهم على القراءة والإطلاع والأدب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوفرت بالمنتدى الكتب الدينية وقصائد المتنبي والمعري وغيرها . وكان رجال الأدب والتجار الذين سافروا الى الهند هم أعضاء هذا المنتدى ومنهم الشيخ عبد الله بن حديد وحميد الكندي وهما من رجال الفكر والأدب وآخرون رحمهم الله . ولا تزال آثار هذا النادي قائمة حيث تم ترميمها مؤخرا تمهيداً لتوظيفها متحفيا بالقرب من مجلس المدفع المفتوح للزوار كما كان شأنه في حياته رافداً ثقافيا فاعلا ومؤثراً .

في مريجة الشارقة التي تفوح عبق الماضي وصداه من عمارتها التراثية المرممة والموظفة كشاهد على علم الإنسان وعمله . هنالك كان الحفل الذي سنفرد عن مثيلاته السنوية المتكررة عدة وثائق ورسائل خطية من أرشيف مكتبة المدفع وهي التي نقلت منها الكتب عام ١٩٤٢ الى مجلس عامر خارج البيت فأصبح المجلس مكتبة ومضيفا لزوار الشارقة والوافدين إليها وملتقى للمثقفين والمتنورين من قامات الشارقة ذلك الزمان .

في حفل افتتاح المكتبة التيمية عام ١٩٣٣ أنشد إبراهيم المدفع

وطني بشراك لقد ظهرت
آيات العلم مع الأدب
وبفضل الله قد فتحت
للعرف معاهد ترتقب
وشموس الحق علت وسمت
في شارقة نلنا الأدب
ودنت أوقات سعادتنا
فرجال العلم لقد نجبوا
فمن الرحمن هداه فلا
يضلله الملحد بالكذب
فليحيى شعبا قام لنا
وأبان مكارم للعرب
هذه تميتنا قد فتحت
بشرى لكم أهل الأدب
وسيأتي يوم يعجبكم
يتجلى الحق من الحجب
ويموت الجهل وندفنه
وليحيى العلم مع الأدب
دار المستقبل في سعد
تلك الأيام لنا العجب
فشباب القوم أرى لهم
نشوءا وشعور الحي أب
لاشيء يفيد المرء سوى
درس التاريخ وما يجب
وسنة خير الخلق بها
متمسك تبلغك الرتب

مبشرا بحياة العلم والأدب وبموت الجهل ودفنه فقال ...

ذاك هو صدى الماضي العلمي والثقافي وهو يحتفي بالكتاب كآية للعلم والأدب ويبشر بها الوطن والقراء في عاصمة الإمارات الثقافية أنذاك كما هي عاصمة العرب الثقافية اليوم الأمر الذي يؤكده الباحثون في التاريخ الثقافي بأن مدينتي دبي

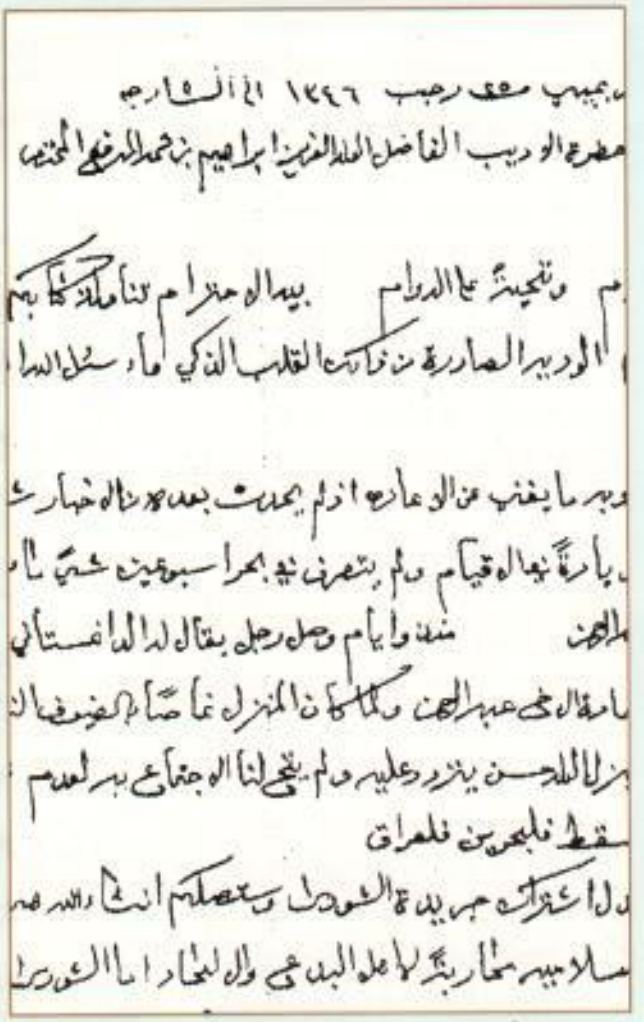

رسالة الأديب المؤرخ عبد الله المطوع للمدفع في عام ١٣٤٦هـ

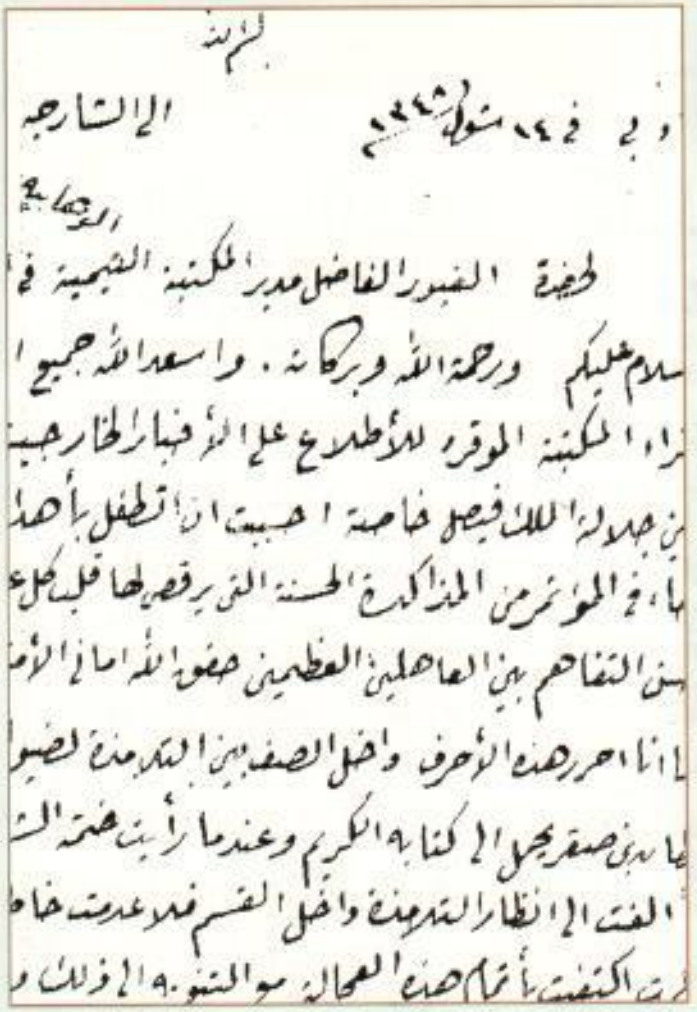

احدى رسائله

والشارقة ، هما المدينتان اللتان سبقتا قبل كل المدن في الإمارات في التعرف على أهمية الثقافة الحديثة وأدركتا الحاجة الى الغذاء الروحي وهو العلم لأي شعب يريد أن يتبوأ مكانة لائقة بين الأمم ، فقد حاول فريق من الشباب المتنور إنشاء (المكتبة التيمية) سنة ١٩٣٠ م / ١٣٤٨ هـ ، لتشجيع الناس على الإقبال على العلوم النافعة والمناقشة في البحوث الأدبية ذات القيمة وقد وضع لها نظام داخلي يحتفظ بمنشور منه السيد إبراهيم المدفع وهو وثيقة تاريخية ، ويذكر عمران العويس بأن المدفع وضع سجلا لزوار المكتبة . ويتذكر المدني - رحمه الله - من أيامه الماضية أنه تعرف على شعر المتنبي في الشارقة وعلى المجلة في مجالسها وذلك في زياراته المتكررة لأصدقائه فيها وقد كان أول متعلم على الطريقة الحديثة حسب رواية المدني هو أحد أعضاء أسرة المدفع وهو المرحوم (حسن المدفع) كان قد تلقى دراسته في الهند وسواء كان يقصد عبد الرحمن بن حسن المدفع أو ابنه حسن الذي بالفعل كان مع والده - تاجر اللؤلؤ الشهير - في بومبي حيث أقام ٤٠ سنة وتوفي هناك - أو كان المقصود حسن بن عبد الله المدفع القامة التي ستبرز في أحداث عام ١٨٦٧م ١٨٦٩م (القرن التاسع عشر) في الشارقة - رحمهم الله - فإن قامات الشارقة من العائلة عبر التاريخ القريب والبعيد متعددة .

في مقابلة لمجلة المنار مع إبراهيم المدفع حين كان بين الصحة والمرض في سنواته الأخيرة في أوائل الثمانينات قال - رحمه الله -

((تلك الحقبة من بداية هذا القرن واجه الناس حركات التبشير بصلابة عقيدتهم الإسلامية وإيمانهم القوي الراسخ ، وكان الناس في الشارقة أسبق البلاد على مسيرة التحصيل العلمي في العصر الحديث وهي مسيرة بدأت في مطلع هذا القرن ففي عام ١٩١٥ تقريبا قام المرحوم الحاج علي بن محمد المحمود بإنشاء أول مدرسة إسلامية ينفق عليها من ماله الخاص ، وكنا نتعلم فيها أصول الدين والقرآن الكريم وعلوم الشريعة والسنة . وكان المحمود - رحمه الله - شديد الإيمان بالعلم وأثره ، قوي العقيدة يبذل كل إمكاناته في سبيل نشر الدعوة الإسلامية فكان يستقدم المدرسين من نجد ومن مصر وغيرهما من البلاد الإسلامية . وأذكر أن أول مدرس عمل في هذه المدرسة هو الشيخ عبد الكريم بن سليمان البكري (وقد درس المدفع على يد هذا العالم والمربي الجليل عدة سنوات من عمر طفولته كما يوثق ذلك عبد الله بن صالح المطوع) رحمهم الله أجمعين ((عن لمحمود سيرة ومآثورات - راجع الإمارات

ابراهيم بن محمد المدفع في سطور

- هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن حسن بن أحمد بن محمد الحارثي ((نسباً)) والمدفع (لقبا)
- ولد في السابع والعشرين من رمضان عام ١٣٢٧هـ في منطقة المريجة في إمارة الشارقة .
- ختم القرآن الكريم في مدة قصيرة ، وتعلم مبادىء علم التوحيد والعلوم الدينية والعربية عند الشيخ عبد الكريم البكري النجدي (رحمه الله) ، بينما تعلم قواعد وأصول الخط العربي عند أحمد بن عبد الرحمن الهرمسي (رحمه الله) .
- لازم الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة السابق (رحمه الله) وصار كاتب سره الخاص وأمينا على ماله ورافقه في أسفاره ، ثم أقره الشيخ صقر بن سلطان القاسمي - رحمه الله - في منصبه بعد أن تولى الحكم
- عمل مستشاراً خاصاً للشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة السابق (رحمه الله) وممثلاً لحكومة الشارقة في مكتب مقاطعة اسرائيل وفي مجلس الحكام ومجلس التطوير
- أصدر أول صحيفة في الإمارات عام ١٩١٧م وكانت تعلق على الحائط وتكتب بخط اليد وشارك في تحريرها أدباء وشعراء من المنطقة
- من أوائل مؤسسي المكتبات - العلمية والبحثية في الامارات ،
- دافع بفكره وقلمه عن تضامن الوطن والامة وكان شديد الحرص على قيام دولة الامارات العربية المتحدة حيث ساهم وفي وضع لبناته التأسيسية الأولى ، وافاه الأجل في الثامن من مارس ١٩٨٣م رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن أعماله وأفعاله خير الجزاء.

قصيدة ياأيها الحكام...
بخط المدفع

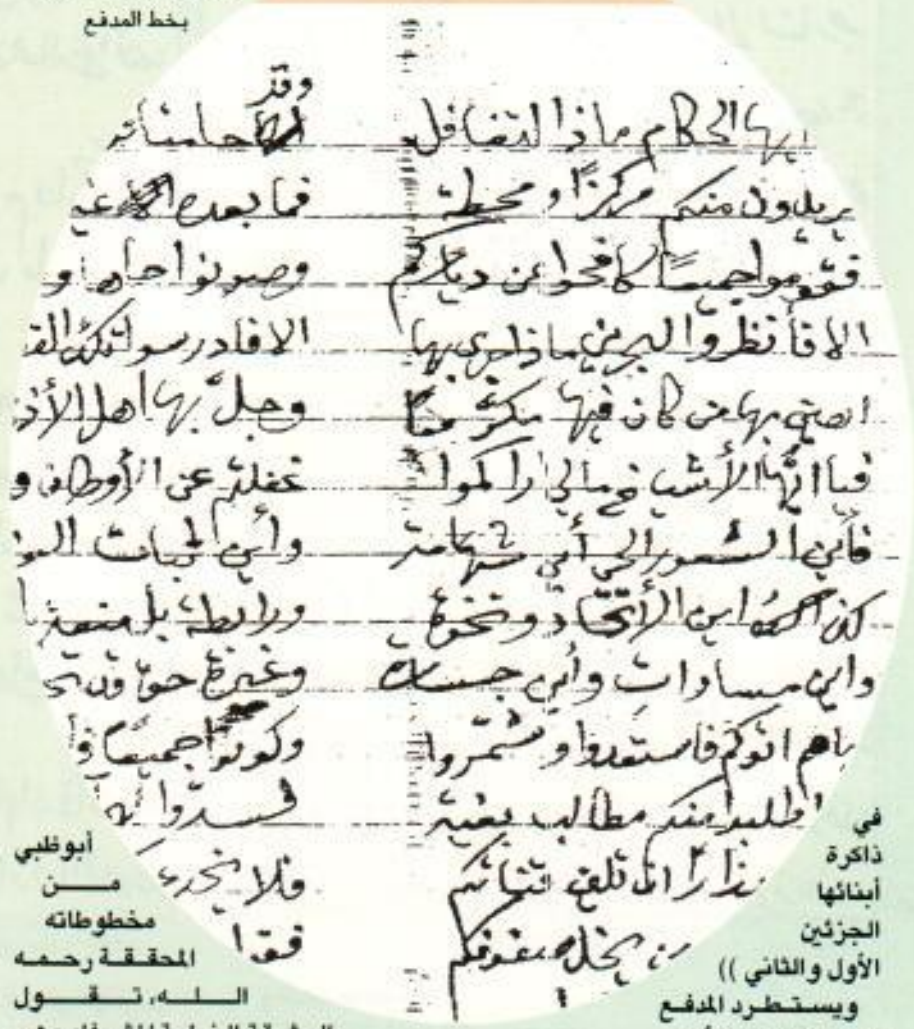

في ذاكرة أبنائها الجزئين الأول والثاني))

ويستطرد المدفع رحمه الله - راوياً ..

[[بعد ذلك شهدت الشارقة نهضة علمية ثقافية فكان يقصدها طلاب العلم والثقافة والأدب من جميع أنحاء المنطقة - رغم عدم وجود مواصلات ميكانيكية حديثة - فكانوا يأتون على الدواب أو الجمال ليشبعوا ميولهم الثقافية والأدبية ويحصلوا على نسخ قليلة من المجلات العربية التي كانت تصدر في مصر وسوريا وكانت ترد إلينا مع التجار والمسافرين ، ليعودوا بها الى مناطق إقامتهم في دبي وغيرها من الإمارات]] .

وهذه ثمة مخطوطة تشير الى المجالس كعنصر ثقافي واجتماعي فعّال في الشارقة أنذاك حين تنقل بين عدد من تلك المجالس الشهيرة الأديب الراحل محمد علي شرفاء الحمادي صاحب كتاب (نيل الرتب في جوامع الأدب) الصادر في أبوظبي

من مخطوطاته المحققة رحمه الله، تقول الوثيقة الخطية للشرفاء وهي مذكرات من عدة صفحات بعنوان (رحلة الى دبي) .. وفيها ما يلي :. (هذه الرحلة خالية من العمل فقط للتفكر والتمعن والتجوال والمرور على مواضع لم أكن قد مررت بها في دبي ، ثم أنتقل الى الشارقة بدعوة من أخص الزملاء مبارك بن سيف الناخي مع جمع من الأصحاب الى محلة في القرية المعروفة (بالحيرة) . ويصل الى مجلس عبد الرحمن بن حسن المدفع في المريجة محددا موقعه بالقول وهو (على ضفاف الخور أعتادوا الجلوس فيه بعض الأحيان إذا سئموا في التجادل للراحة على ضفة بسيطة عادية ، حيث لم تكن في الشارقة مقاه تنظم أشراف الناس وأواسطها ولا جمعيات تحتوي على من ذوي التهذيب أو يختلفون اليها من ذوي الذوق .

الخيل
بين الأسطورة والعلم

■ فاروق خورشيد

قال تعالى ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) صدق الله العظيم .

وعن عروة رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه فيقول ((الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة)) أو كما قال ، رواه مسلم والنسائي .

وقال امرؤ القيس بن حجر في وصف فرسه :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
كأن على المتنين منه إذا انتحى
مداك عروس أو حرابة حنظل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
دريـر كخذروف الوليد أمره
تقلب كفيه بخيط موصل
كميت يزل اللبد عن حال متنه

الخيل اذن هي أكثر ما اعتز به العرب وما أكثر مانسجوا حولها من أساطير وحكايات وساوى العرب في هذا كل الشعوب التي عرفت الفروسية وعاشت شاكية السلاح فامتلأ أدبها الشعبي وامتلأت أساطيرها بصور الخيل وحكايات حول الخيل وأنواعها وفضائلها ..

يروي ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار أن ابا ذر قال ((ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها ربه ويقول اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده فاجعلني احب اليه من أهله وماله ، اللهم أرزقه وارزقني على يديه)) .

وابن قتيبة يعقد في كتابه عيون الاخبار فصلا كاملا عنوانه ((باب في الخيل)) ويقول أنه ألف كتابا خاصا عن أبيات المعاني في خلق الفرس ، كما يخصص النويري في ((نهاية الارب)) أكثر من جزء من كتابه الكبير باسم ((ذيكر ما وصفت به العرب الخيل)) ويقول في أسماء الخيل مرتبة حسب سنها .. ((العرب تقول للفرس اذا وضعته امه (مهر) ثم هو ((فلو)) فاذا استكمل سنة فهو ((حولي)) ثم هو في الثانية (جذع) وفي الثالثة (ثني) ثم في الرابعة (رباع) وفي الخامسة (فارع) ثم هو في نهاية عمره (مذك) ...

ولم يكتف العرب بالنسبة للخيل بهذه التسميات لها في كل مرحلة من عمرها بل لقد سموا أعضاءها وألوانها وشياتها وعزرها وحجولها وعصمها ودائرها ثم الفوا في طبائعها وعاداتها والمحمود من صفاتها ومحاسنها والعلاقات الدالة على جودتها ونجابتها ، كما ذكروا العيوب التي تكون في خلقها وجريها والعيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها .. ويذكر لنا النويري من الكتب التي ألفت فيها كتاب ((فضل الخيل)) لابي عبيد (رسالة الخيل) للاصمعي (وألوان الخيل) لابن الاجدابي الطرابلسي وكتاب ((فضل الخيل)) للدمياطي وكتاب (نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد)) وكتاب (حلية الفرسان ـ وشعار الشجعان) لابن

هذيل الاندلسي وكتاب (آلات الجهاد وأدوات - الصافنات الجياد) لسليمان النحوي المصري وكتاب ((الخيل في سنن النسائي)) و ((رسالة في الخيل)) لشهاب الدين الحلبي .

وليس هذا الذي يذكره التوبري في سياق كتابه الا قطرة من بحر من الكتب التي ألفت في الخيل وانسابها ومشاهيرها وصفاتها ولعل أشهر خيل العرب جميعا ((داحس والغبراء)) التي سببت حروبا طويلة احتلت مكانا كبيرا بين أيام العرب المشهورة ويقول ابن عبد ربه في العقد الفريد معددا مشاهير خيل العرب .. ((الوجيه ولاحق)) لبني أسد ((وقيد وحلاب)) لبني تغلب (والصريح) لبني نهشل ((وذو العقال) لبني رباح بن يربوع وهو أبو داحس وكان ((داحس والغبراء)) لبني زهير ((والغبراء))خاله ، داحس، واخذه من أبيه و«ذو العقال» لحذيفة بن بدر ((والنعامة)) للحارث ابن عباد وابن النعامة لعنترة العبسي . ((وابن النعامة)) اسمه ((الابجر)) وهو فرس عنترة بن شداد الذي خصصت له سيرة عنترة فصولا عديدة وجعلته واحدا من أهم الشخصيات التي تدور حولها الاحداث .

تقول السيرة أنه في احدى غزوات العبسيين برئاسة عياض بن ناشد يلتقي عنترة بالحارث بن عباد البشكري الذي يركب مهرا أدهم .. ويقول كاتب السيرة :

((وثب الحارث بن عباد في عاجل الحال وركب على ظهر مهر أدهم كأنه الليث القشعم ، وكان هذا المهر يشبه لون الظلام أو كأنه قطعة من الغمام . وكانت أم هذا المهر يقال لها النعامة وكانت تضرب بها الامثال في أرض تهامة ويفتخر بها أهل اليمامة .. وكان أبو هذا المهر يقال له واصل وكانت تنحسر عليه العربان وملوك القبائل .. فلما ان صار الحارث على ظهر المهر صاح بين اذنيه وقصد به الغارة فطار كأنه من العقاريت الطيارة ونظر اليه الفرسان فلم يروا الا غبارة فلما رأى عنترة ذلك الجواد تنهد وتحسر وتعجب كل العجب وصار عنترة مثل الغريق وقلبه تلهبه نار الحريق .. وقد علم أنه اذا طلبه ما يبلغ منه المراد ولا يصل اليه بجري أو طراد .

كاتب السيرة يمهد للقاء عنترة بالابجر كما يمهد كاتب قصة حب للقاء البطل بحبيبته فهي نظرة أعقبتها ألف حسرة . وعندما يغيب عن بصره يتنهد ويتحسر ويصبح مثل الغريق (وقلبه تلهبه نار الحريق) واهتمام كاتب السيرة بنسب ((الابجر)) لا يقل عن الاهتمام الذي يبديه كاتب السيرة بنسب البطل كتقليد فني ثابت من تقاليد كفاية السير الشعبية ويروي كاتب السيرة كيف أن عنترة حرس الاسرى من أهل الحارث بن عباد البشكري متقدما رجال بني عبس وكيف أن الحارث تعرض له ليخلص الاسرى من بين يديه الا أن عنترة يعرض عليه أن يسلمه كل الاسرى والغنائم مقابل الجواد ((الابجر بن النعامة ما اقتنى مثله فارس في أرض تهامه)) ويوافق الحارث مرغما على هذه المبادلة ليخلص نساء قومه من السبي وأموال قومه من النهب . ويترل عن الابجر لعنترة وهو مغموم حزين . ويستولي عنترة على الابجر ليقاسمه مغامراته وأمجاده وبطولاته ... وكما يدخل الابجر مغامرات عنترة كجزء فعال فيها يسبب له النصر والغلبة بمهارته وسرعته وذكائه يدخل عنترة مغامرات الابجر الذي يتعرض لسلسلة من محاولات السرقة على يد أكثر من سلال أخطرهم المختلس بن ناهب سلال الحثيل الذي تفوق شهرته في الجراة والحيلة والاقدام شهرة الفرسان المعروفين في الجزيرة ويخوض عنترة سلسلة معارك رهيبة لاستعادة فرسه كما يخوض سلسلة معارك مساوية لها في العنف في تخليص عبلة حين تؤسر في بلاد الروم . وحماسه لتخليص فرسه لا يقل ان لم يزد عن حماسه لتخليص حبيبته عبلة ... وحين يعود عنترة بفرسه وقد خلصه من الاسر يقول كاتب السيرة ((وما نام تلك الليلة ولا التفت الى عبلة التي كانت منه ومحط آماله ورجاه لأنه كان يحب جواده أكثر من حبه لعبلة ... وقد ذكروا أن عبلة عنده أعز من روحه التي بين جنبيه)) .

ولا تنفرد سيرة عنترة بن شداد بهذه الظاهرة بل هي تنتشر في كل السير الشعبية التي تتناول بأحداثها مرحلة ما قبل الاسلام .. والتي تستخرج أبطالها من قلب الجزيرة العربية في العصر الجاهلي وهي أوضح ما تكون في سيرة حمزة البهلوان وفي الأجزاء الأولى من سيرة الأميرة ذات الهمة ففي هذه السير الشعبية التي تتناول العصر الجاهلي اما في نسيجها الروائي كله واما في الأجزاء الأولى منها تنتشر ظاهرة الاهتمام بالخيل وخاصة مشاهيرها اهتماما يتعدى حب البطل أو الابطال لها الى ذكر انسابها العريقة الموغلة في القدم حتى لتصل الى فرس سيدنا سليمان نفسه مع ما تفرده من فصول ممتعة حول التصارع على الخيل والاقتتال دفاعا عنها وحبها والتفنن في محاولة سرقتها أو ((سلبها)) حتى ليجعل الملوك والامراء العرب من جياد الخيل المشهورة مهرا لبناتهم ... بل يقدمون المال والجواهر والعرض الغالي فداء للفرس المنشود . وقد تبع هذا ظهور شخصية ((السلال)) بكثرة في الأدب الشعبي العربي الذي يتناول هذه المرحلة من تاريخ الجزيرة العربية ..

وشخصية ((سلول الخيل)) تمتاز بالجسارة الفائقة والذكاء والحيلة ، والتفنن في الخداع والتنكر والتعمية وهذه الظاهرة - ظاهرة التنكر والخداع تظهر في الأدب الشعبي

العربي عامة متأخرة في الجزء البغدادي والقاهري في حكايات الشطار في الف ليلة وليلة وفي سيرة على الزيبق المصري . وفي الاجزاء المتأخرة من سيرة ذات الهمة والظاهرة بيبرس فتظهر أسماء ملوك اللصوص والمخادعين الذين يجيدون فن التنكر والتحايل (الشطارة) من أمثال عقبة شيخ الضلال والبرتقش وجوان وشيحة جمال الدين صاحب الملاعيب وأبي محمد البطال أو الكسلان وعلى الزيبق وأحمد الدنف ودليلة المحتالة وشواهي ذات الدواهي وزينب النصابة وغيرهم ممن أمدوا أصحاب المقامات بصورة الشطار التي ظهر من نسيجها ابو زيد السروجي وغيره من أبطال المقامات ولكنها في الحقيقة تجد بداياتها في شخصية ((السلال)) التي تظهر مبكرة في السير الشعبية التي تتناول العصر الجاهلي وفرسانه وتبلغ أهمية هذه الشخصية الروائية التي يبتدعها كاتب السيرة الشعبية لتكون المساعد والصديق والمضحك للبطل وهي في نفس الوقت الشخصية التي تمتلك مواهب أخرى غير المواهب التي يمتلكها البطل ووجودها في خدمة البطل ضرورة هامة لتتكامل للبطل أدوات القوة والسيادة والفوز كشخصية (شيبوب) في سيرة عنترة بن شداد وشخصية ((عمر الخطاف)) في سيرة حمزة - البهلوان يكملان وجود البطل العوليس في عنترة وحمزة البهلوان هنا اضافة جديدة احتذتها الملاحم البيزنطية والرومانية فيما بعد ثم وجدت مكانها في الروايات التاريخية الغربية بعد ذلك ولكنها اضافة جديدة .. قدمتها السير الشعبية العربية للبطل الاسطوري الفارس ، تلك هي الشخصية المحتالة الخبيثة القادرة على اتيان ما لا يستطيعه البطل من أعمال قد تخل بالصورة الاسطورية المتعالية التي يرسمها البطل الفارسي بنفسه ولنفسه . فالبطل في السير الشعبية التي تناولت هذه المرحلة من تاريخ العرب فارس يرتبط بكل خلقيات الفرسان التي ارتبطت بتقاليد معينة مستمدة في الغالب من شخصية الفارس في على ابن ابي طالب المتعفف المتعالي الذي لا يحب أن يلجأ للخداع أو الحيلة ومن شجاعة الحسين بن علي الذي يفضل الاستشهاد الصريح القاتل على أن يتنازل عن فكرة أو معنى أو موقف أو عقيدة وهذه الصورة التي رسمها التاريخ العربي للفارس والمستمدة من علي ومن ابنه الحسين تنتقل بعد هذا في العصور الوسطى لتصبح الاطار الذي يتحرك فيه الفارس البطل في ملاحم أوروبا في العصور الوسطى .. هذه الشخصية الطلقة في مفاهيمها ومثلها وقيمها وسلوكها لن تنجح في الحياة أبداً ، ونهاية علي بن أبي طالب ونهاية الحسين المفجعة تؤكد هذا . ولهذا ابتدع خيال كاتب السيرة الشعبية العربية شخصية البطل المساعد وهو غالبا اخ بالام للبطل كما في شخصية ((شيبوب)) في سيرة عنترة بن شداد أو أخ بالرضاعة كما في شخصية ((عمر الخطاف)) في سيرة حمزة البهلوان لتكون المكمل للعناصر التي يفتقدها البطل أو يرتضيها وعلى هذا يمارسها البطل المساعد بنجاح ليكمل انتصار البطل ويؤكد نصره . فهذه الشخصيات المساعدة أو الجانبية تقوم بكل ما تمنع تقاليد الفروسية أو القوة العربية - التي أصبحت تقاليد عالية للفروسية بعد هذا - البطل من الاقدام عليه ، فالبطل لا يعرف الخدعة ولا التحايل ولا الغدر . البطل في السير الشعبية هو نفسه بطل العصور الوسطى الذي قدمته اوروبا وأسمته (البطل المسيحي المحارب) لا يعرف الا المواجهة الحازمة التي تقوم أساسا على المقدرة البدنية وعلى المهارة في استعمال ادوات الحرب من سيف أو رمح أو سهم أو صراع بدني .. اما البطل المساعد فهو الذي يقدم على الحيلة والدهاء وان خالفت هذه الحيلة وهذا الدهاء تقاليد الفرسان غير المقررة والمتبعة في دنيا الفرسان ، فشيبوب وعمر الخطاف وأبو محمد الطال وشيخه جمال الدين صورة لاستعمال كل الوسائل في سبيل النصر فهم الجواسيس وهم المنهازون . وهم الذين يلجأون الى الحيل والخداع والتنكر والمخدر في سبيل تحقيق أهداف البطل .

صورة السلال اذن صورة مهمة في دنيا السير الشعبية ويزيد في أهميتها انها مقدمة لشخصيات متكررة ويتكرر ظهورها في الاعمال الشعبية المتأخرة كما ستتكرر وتظهر في الاعمال الادبية والرسمية المتأخرة ايضا ونعني بهذا المقامات التي اعترف بها الادب الرسمي رغم عدم اعترافه بالاصول الأولى لشخصياتها التي تتكرر في المحتالين والشطار في ألف ليلة والسير المختلفة من الظاهر بيبرس الى علي الزيبق الى ذات الهمة في فصولها المتأخرة زمنا ((وصورة السلال)) لا ترسم أهمية الخداع والحيلة في السيرة الشعبية وحسب وانما هي ترسم أهمية (الخيل) كوحدة اعتمد عليها القصاص في رسم صور الصراع حول البطل في مراحله الأولى ..

وترسم صورة ((السلال)) مع صورة الصراع حول ((الخيل)) مع أهمية الحصان بالنسبة للبطل في السير الشعبية معنى عميقا في تفهم صورة أدوات البطل الأسطوري العربي القديم في

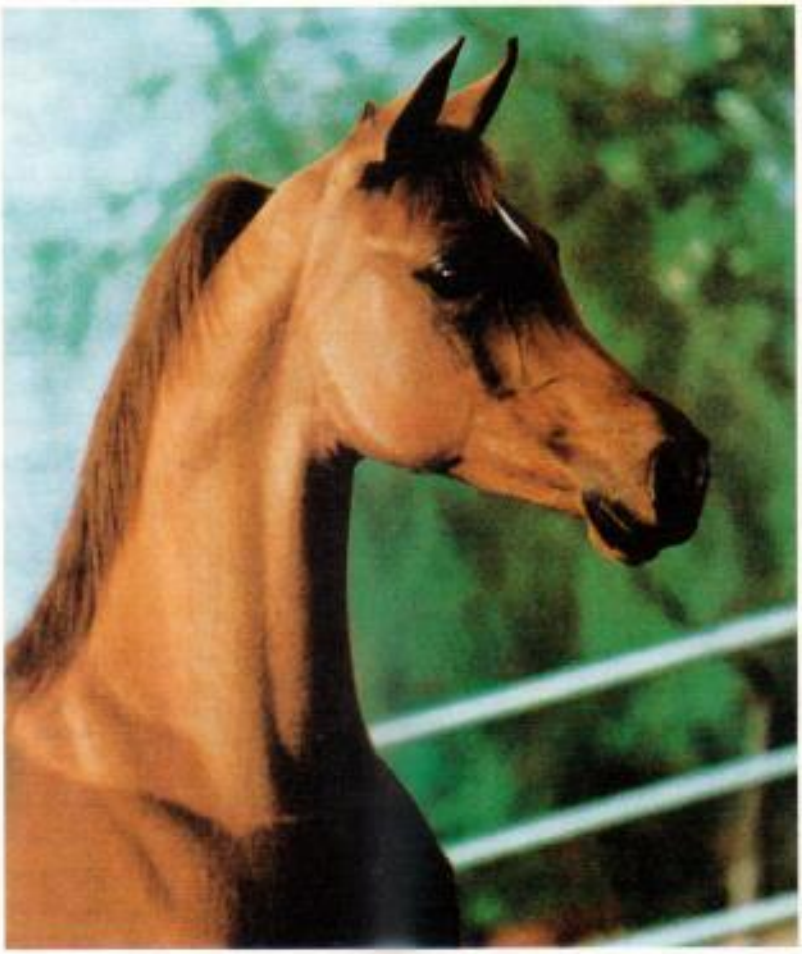

الاساطير العربية والسير الشعبية التي دارت حوله في أطواره الأولى العربية الأصيلة .

ولكن المسألة بالنسبة للعرب لم تكن مجرد أساطير وحكايات شعبية وانما دخل تأثير الخيل الى حياتهم نفسها وما حرب داحس والغبراء التي أشرنا اليها من قبل الا صورة من هذا ويقول النويري في نهاية الارب عن هذه الحرب .. ((حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان وكان السبب الذي صاحبها أن قيس بن زهير وحذيفة بن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء حجرا أي فرسا أنثى لحذيفة بن بدر فتواضعا على الرهان على مائة بعير . وكان على طرف الغابة شعاب كثيرة فأكمن حذيفة بن بدر في تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين لما جاء داحس سابقا ردوه عن الغابة فبعث حذيفة مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق فرفض قيس واخذ الرمح فطعن مالكا فقتله ، وقتل حذيفة بن مالك مالكا بن زهير وثارت الحرب بينهما ..))

وكما امتلأت حياة العرب بالاحداث الجسام التي سببها الارتباط بالخيل وحبها والتعلق بالاصيلة منها نجد أن أساطير الشعوب المقاتلة الأخرى تحتفي أيضا بالخيل فالاله هيبوليتوس اليوناني .. تعلم فن الصيد والقنص من القنطور .. والقنطور حيوان خرافي يظهر كثيرا في الأساطير اليونانية القديمة ونصفه الأساطير على شكل انسان بينما بقية جسمه على شكل حصاب وكان اليونانيون القدماء مغرمين بالقنطور بحيث كان يظهر كثيرا في رفقة الانسان ويدعى الى مجالسه .

والقنطور أشرف على تعليمه وتنشئته ابو للو وديانا واكتسب كثيرا من المهارة في القنص والطب والموسيقى بل واكتسب القدرة على التنبؤ وتتلمذ عليه كثير من أبطال الاغريق الذين ترد أسماؤهم في القصص والاساطير الاغريقية القديمة .. ومن أهمهم هيبوليتوس وقد تمكن هذا الحصان الخرافي بحكم علمه بالطب من أن يرد الحياة الى هيبوليتوس الذي مات تحت سنابك الخيل ..

وتقول الاسطورة الاغريقية ان القنطور كان أفضل الكائنات الخرافية وأحكمها لدرجة أنه حين مات رفعه جيوبتر الى السماء ووضعه بين النجوم .

ولهيبوليتوس تحت سنابك الخيل قصة تروبها الاسطورة الاغريقية اذ بينما كان هيبوليتوس يقود عربته الحربية بجوار شاطىء الخليج ارسل اليه اله البحر ((يوسيدون)) ثوراً هائجا طلع من بين الأمواج فهاجت الخيل وركضت في عنف من الخوف والفزع وألقت هيبوليتوس من فوق العربة وداسته بأقدامها حتى مات .. ولهذا السبب الاسطوري كان دخول الخيل الى غيضة أريكيا وهيكلها محظور الان فان هيبوليتوس الذي كانوا يعتبرونه أحيانا اله الشمس قد مات تحت أقدامها .

ويحكي المسعودي عن بدء خلق الخيل في كتابه مروج الذهب فيقول :

((ذكروا والله اعلم انه لما أراد الله ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة على أعدائي وجمالا لأهل طاعتي فقالت الريح : أخلق ، فقبض منها قبضة فخلق فرسا .. فقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فأنت للطلب لا للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ...

ويستمر المسعودي في هذه القصة التي ينسبها باسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : ((فلما سمعت الملائكة صفة الفرس وعاينت خلقها قالت رب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا . فخلق الله لها خيلا بلقا أعناقها كأعناق النجب وهي الابل الخرسانية فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل بوركت من دابة أذل بصهيلك المشركين أذل به أعناقهم وأملأ به آذانهم وأرعب به قلوبهم .. فلما عرض الله على آدم من كل شيء قال.. اختر من خلقي ماشئت فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك خالداً ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتي عليك وعليهم . ما خلقت خلقا احب الي منك ومنهم .. هذا ما ورد في ابتداء خلق الفرس والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب))

وهناك قصة طريفة يرويها النويري في نهاية الارب عن أول من ذلل الخيل وركبها ويقول النويري أنه كان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويقول النويري :

كان الخيل وحشا كسائر الوحوش فلما أذن الله عز وجل لابراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل اني معطيكما كنزا ذخرته لكما ثم أوحى الله تعالى الى اسماعيل أن اخرج فاذع بذلك الكنز فخرج اسماعيل الى اجياد وهي موضع بمكة وما يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله عز وجل الدعاء فلم تبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب الا أجابته فأمكنته من نواصيها وذللها له .

هذه حكايات كتب التاريخ وحكايات كتب الاساطير فماذا عن اراء أهل العلم ؟؟

العلم يقول عن الخيل انه حيوان ثديي وحيد الحافر يتبع الفصيلة الخيلية ويستعمل للركوب والجر والعمليات الزراعية .. وقد عرف الانسان الحصان منذ القدم ففي العصر الحجري عرفت انواع عدة من الخيل اذ وجد حول موقع معسكر سولتر بفرنسا عظام مئات الالوف من الخيل في حالة تدل على انها كانت تؤكل وكان الحصان ضمن حيوانات الصيد التي قام انسان العصر الحجري بعمل شبيه لها بالرسم والحفر والنحت .. وكان الحصان من بين آخر الحيوانات التي استأنسها الانسان وربما كان بدو أواسط آسيا هم أول من استأنسه ثم نقلوه الى الصين فآسيا الصغرى وأوربا ومصر .. وتقول المصادر العلمية ان الحصان أدخل الى جنوب آسيا وغرب اوروبا حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .. اما في افريقيا فظهر لأول مرة مع غزو الهكسوس لمصر عام ٥٠٠قبل الميلاد واستعمل لجر العربات الحربية .. أما العلم فله رأي محدود للتجربة المعملية والقياس العلمي فيقول الاستاذ فانس باكار في كتابه الجانب الانساني عند الحيوان ((عندما يتكلم الناس عن الخيل انما يقرنونها بالشجاعة والذكاء أو الحكمة فهم يرون ان الحصان يتمتع بقدر كبير من الذكاء والفهم فهل هذا صحيح لقد كان ذلك محل جدل كبير بين العلماء لمدة خمسين عاما على الأقل وتشكلت اللجان العلمية لبحث ذكاء الخيل التي أبدت بعض المآثر الرائعة ومن هذه الخيول ذائعة الصيت ((كليفرهانز)) وقد بدأ هانز يبهر علماء الدنيا في أواخر القرن الماضي عندما أعلن فون أوستن من برلين ان حصانه حصان نابغة لا يستطيع العد والطرح فقط بل يستطيع أيضا أن يحل المسائل الحسابية المعقدة وهو يتكلم بمعنى أنه يفهم ويجيب على الأسئلة التي توجه اليه مشافهة أو كتابة بالالمانية ، ولقد بدأ فون أوستن يعتقد أن هانز ينم وجهه النبيل عن أنه يخفي وراءه حكمة بالغة اذا ما اتيحت له الفرصة للتفاهم فبدأ يخلق هذه الوسيلة الملائمة للحوار بينهما .. وجعل أوستن يقول لكل من يقابله أو يسأله : على أن هانز يجيب على المسائل الحسابية بالدق على الارض بحوافره الامامية فمثلا واحد (دقة حافر) واثنان (دقتان) وهكذا... وهانز يعبر عن وحدات الاحاد بالدق برجله اليمنى ويعبر عن وحدات العشرات بالدق برجله اليسرى .

ويقول الاستاذ باكار .. (وكان الهرفون أوستون فخوراً بهانز يعرضه على المارة دون مقابل بل لقد تجاوز تفاهمه مع هانز من الأرقام الى الكلمات . واستمد عن أوستن قوله عندما تقول باريس عاصمة فرنسا يستطيع هو أن

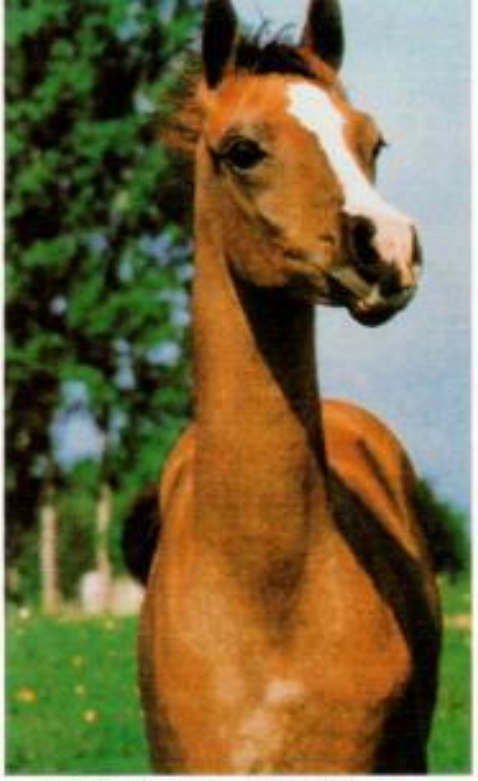

يعبر عن ذلك بدق كل حرف بطريقة مورس وكل حرف كان يعبر عنه بواسطة عدد معين من الدقات مبين على خريطة هجائية موضوعة على حامل أمام عيني هانز .. ويقول الاستاذ باكار : وقد أدت أعمال هانز الى أن تشكلت لجنة في ألمانيا من أئمة العلماء لتجري أبحاثها على هانز العجيب ، وكان هناك غيرها كالحصان العربي الأصيل محسن الذي كان صاحبه الهركرال قد دربه على حل المسائل الحسابية من جمع وطرح وضرب كما اشتهرت في أمريكا مهرة تسمى لبدى والحصان تزيجو الذي ظهر في أفلام رعاة البقر وكان يملكه احد نجوم هذه الأفلام وهو روى روجرز ..

هذه التجارب أثبتت أن الحصان ذكي وماهر وقادر على التعلم ولكن الاستاذ باكار يعلل هذا بقوله ..

((يمكننا أن نرجع معظم الالعاب الرائعة التي يقوم بها الحصان الى التعلم البسيط ودفعا للقانون العلمي المسمى بقانون عدم التوسع الذي نادى به لويد مورجان يمكن القول بأنه لا ينبغي لنا بأية حال أن نفسر عملا ما على أنه نتيجة لممارسة قوة عقلية طالما أمكن تفسيره على أنه فعل حاصل من حيوان أقل مرتبة من القائمة السيكلوجية للحيوانات))

وهكذا يشكك الاستاذ باكار في ذكاء الحصان وقدرته الذهنية فماذا عن شجاعته يقول باكار ((ان المشكلة تنحصر في أن الحصان الأصيل انما هو مجموعة من الانفعالات يتحكم فيها جهاز عصبي سريع التغير))

الا أن هذا التحليل العلمي لم يمنع العالم من استخدام الحصان في الحروب وتدريبه لكي يكون جزءاً من مهارة الفارس ويضاعف من قدراته الحربية ومجالا لاظهار شجاعته وفروسيته .. وقد ظلت البشرية على احترامها للحصان فلم تستعمله الا للركوب الارستقراطي والحرب حتى القرن التاسع عشر اذ بدأت البشرية تستعمل الحصان مكان الثور في الجر . وحصان الجر الحديث من سلالة الحصان المتوحش الذي كان يقطن الغابة الأوروبية والذي كان كبير الحجم نسبيا والذي كان يستخدمه الفرسان في العصور الوسطى ... ومن المرجح ان تكون أنواع الخيل المستأنسة كلها من أنواع متوحشة تم ترويضها والسيطرة عليها .

وقد اشتهر العرب من قديم بتربية الخيل والسيطرة عليها ولهذا ليس عجيبا ما نراه من احتشاد المكتبة العربية بكتب خصصت للخيل ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بالخيل ..

من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بأناث الخيل فان ظهورها حرز وبطونها كنز . وقال عليه السلام ((لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد واحد ما سبقها الا أشقر)) وروي الامام أحمد في سنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الخيل ثلاثة ففرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان ... فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله وأما فرس الشيطان فالذي يقامرون عليه ويراهنون .. وأما فرس الانسان فالفرس التي يرتبط بها الانسان ملتمس بطنها فهي ستر من فقر .. أو كما قال عليه السلام

ومن فضل الخيل وشرفها ان أقسم بها الله في كتابه العزيز قال تعالى ((والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ، ان الانسان لربه لكنود)) صدق الله العظيم .

وهكذا ترى عبر التاريخ والاساطير الشعبية والحكايات المأثورة والتراث العربي الديني أن الانسان أحب الخيل وعشقها فأدار حولها أكثر من أسطورة وتفتق خياله عن أكثر من حكاية وسيرة بطلها من عالم الخيل . ولم ينف العلم صفات الخيل التي عرفها صاحب الاسطورة وانما أكدت التجارب العلمية لقته بالخيل في دنيا الفهم والحكمة .. والى جوار كتاب الاسطورة عشق الشعراء والكتاب الخيل فقالوا فيه وكتبوا عنها ووصفها كبار شعراء العرب وأسهبوا وأجادوا ..

قال العباس بن مرداس في وصف فرس :

جاء كلمع البرق سام ناظره
تسبح أولاه ويطفو آخره

عن كتاب عالم الأدب الشعبي العجيب

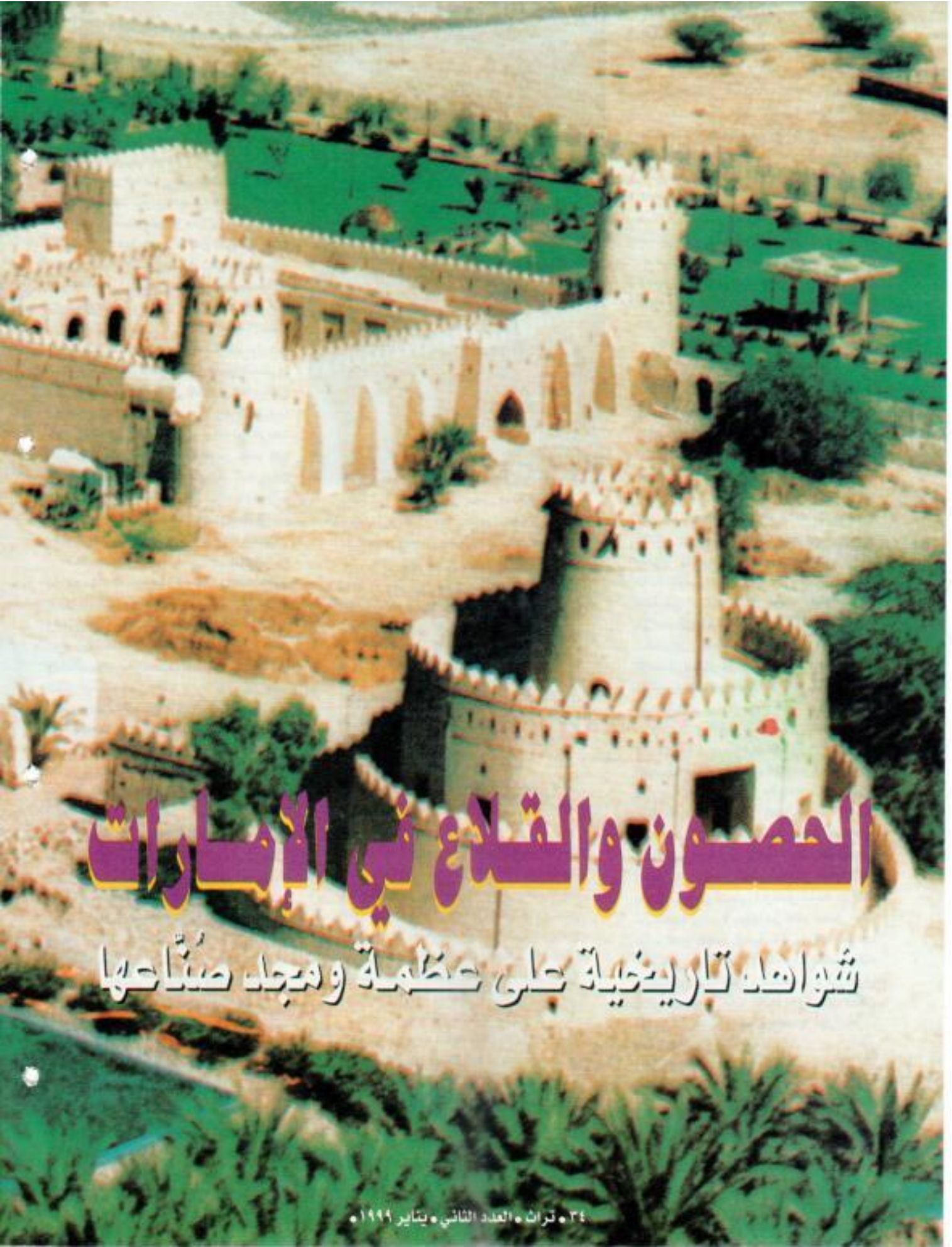

الحصون والقلاع في الإمارات

شواهد تاريخية على عظمة وتمجد صُنّاعها

استطلاع

تعتبر القلاع في بلادنا من المعالم السياحية البارزة حاليا .. حيث يوجد منها في امارة أبوظبي ١٥ قلعة معظمها في مدينة العين . وهي شواهد تاريخية على عظمة المجد الذي صنعه الأجداد وتركوه لنا نستظل به .. ونحوله الى مزارات سياحية ينبهر بها الزوار وهم يتأملون تلك القلاع وعظمة بنائها وقوته .. وحنكة من بنوها وخبرتهم بطبيعة المنطقة وظروفها المناخية .. وكيف تم تسخير الامكانيات البسيطة البدائية لتكون حصوناً تحمي من الاعتداءات .

وفي البداية لا بد أن نلقي نظرة عامة على القلاع بشكل عام في بلادنا .. ثم تفصيلية عن قلاع العين .. فنجد ان القلعة تتكون في الغالب من مجموعة من الأجنحة يحيط بها سور عال .. وفي أركان السور عدد من الأبراج المستديرة في الغالب وتستخدم للمراقبة .. وتتكون القاعات الداخلية للقلعة من أكثر من فراغ متتال ومختلف الارتفاعات وتحيط بها جدران سميكة .. بها كوات للجلوس أو تستخدم للتخزين .. وعلى الجدران تنقش بعض الآيات القرآنية الكريمة بخط بارز .. والسقف يكون من الخشب الساج المزخرف بالنقوش الهندسية .. أو من المواد الأولية المستمدة من البيئة المحيطة .

ولأن القلعة استخدمت كحصن يحتمي به السكان .. فكانت تبنى في مكان مرتفع بحيث تستطيع كشف كل ما حولها للتعرف على كل قادم من مسافة بعيدة .. وكانت القلاع متسعة حتى تضم أكبر عدد من الناس .. وكان الأجداد يحرصون على أن تكون في ساحة القلعة بئر للإمداد بالمياه اذا تعذر جلبها من الخارج .. كما توجد فيها مجموعة من الغرف المعدة للتخزين الطعام .

ومن المنطلق نفسه .. فإن جدران القلاع تكون عريضة وتمتاز بالقوة والارتفاع .. وأبوابها خشبية قوية .. وفي كل قلعة وعلى الأجناب بالتحديد توجد أبراج مرتفعة بها فتحات مختلفة الاتساع تسمى ((مرامي)) . تتسع لفوهة البندقة ويستعملها المدافعون عن القلعة لرمي المهاجمين .. ولهذه الأبراج في العادة ثلاثة استخدامات : فهي تستخدم للمراقبة والانذار بوجود خطر .. وتستخدم لرمي المعتدين بنيران البنادق .. وتستخدم ثالثا كسجن للخارجين على القانون والنظام .

وتكون القلعة كذلك مقرا للحاكم يدير من خلاله أمور الحكم .. لذلك يوجد بها بعض المكاتب الادارية مثل مكاتب شئون الامارة وهي عادة ما تكون من طابقين .. ومربعة الشكل في الغالب ... ويوجد عند كل ركن من أركانها برج صغير .. وفي أحد الاركان برج كبير للمراقبة .. وفوق الدور الثاني يبنى جدار سميك ايضا وبه فتحات للرمي مثلها مثل مرامي الأبراج.. ويبنى في القلعة مجلس خاص للحاكم .. وفي خارجها أيضا حيث يستقبل عامة الناس ليبحث مطالبهم وتطلق كلمة قصر على القلعة التي تكون مقرا

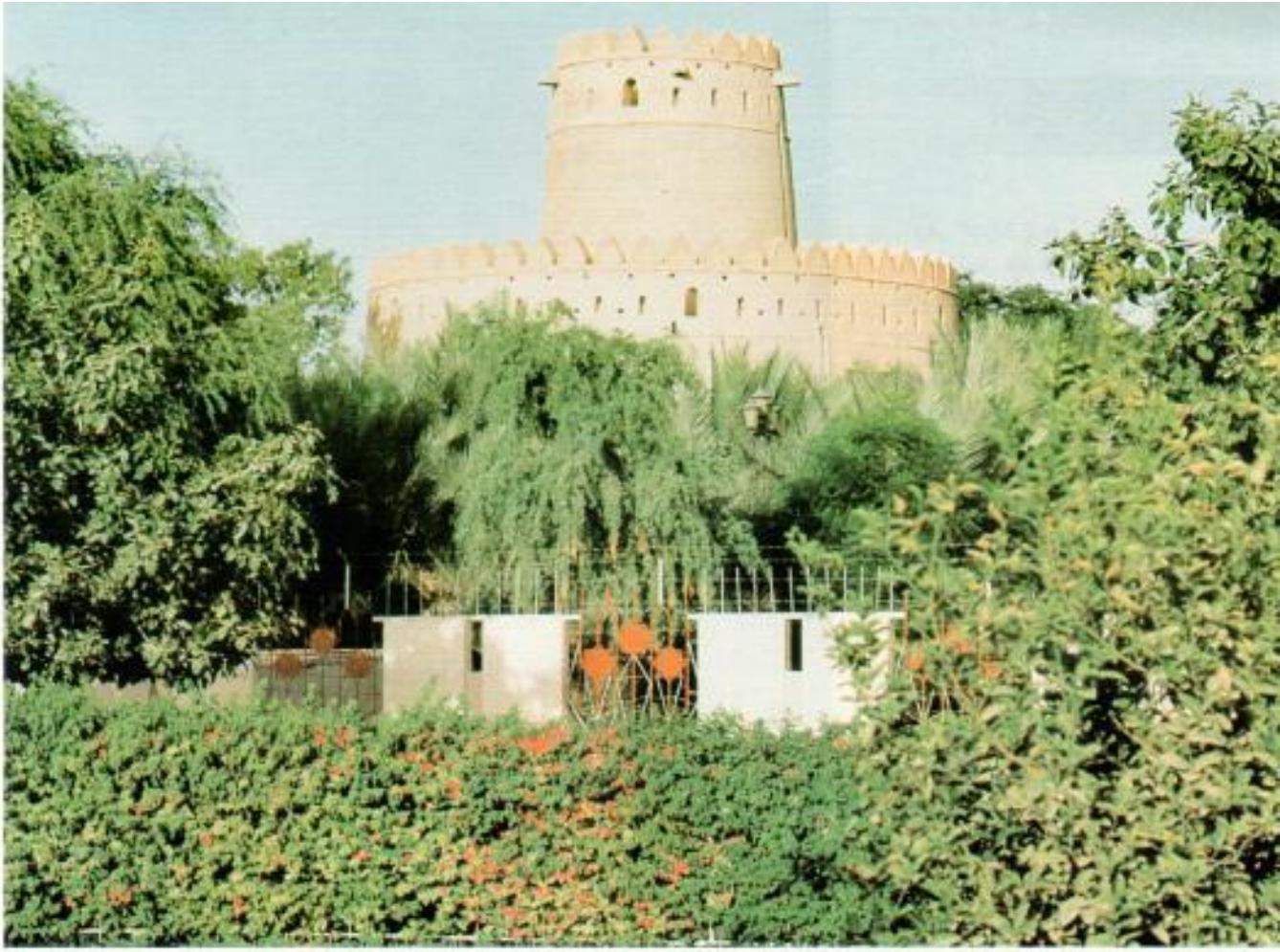

قلعة الجاهلي

للحاكم .. وتعتبر لضخامتها وعلو أسوارها أعلى مبنى في المدينة .. وتكون في مركز المدينة أيضا .. وساحتها تقام فيها احتفالات المناسبات العامة كالأعياد والمناسبات الرسمية والدينية .. وتستعمل في الوقت نفسه كسوق خلال الاعياد لبيع العاب الأطفال .. والساحة خارجها تكون أيضا لتنفيذ العقوبات على الخارجين عن القانون .

ولأهميتها ومركزها وقيمتها المعنوية .. كان المهاجمون يبدأون هجومهم على القلعة .. فإن انتصروا فإن ذلك يعني نهاية المعركة .. واذا هاجم المهاجمون المدينة وبخلوها من أي زاوية فلا بد ان يتقدما في هجومهم حتى يصلوا الى القلعة .. ولا يعتبرون أنفسهم منتصرين ان لم يدخلوها .

وعادة لا تنتسب القلاع الى المدن المقامة فيها .. ولكن الى القبيلة أو حاكم البلاد . وكما ذكرنا في البداية فان المواد المحلية الأولية هي الأساس في بناء القلاع .. ولها طراز هندسي محلي وبنيت بأيدي خبراء محليين .. فقد استعملوا في بنائها نوعا من الطين يسمى ((مدر)) وهو شديد التماسك .. وسقوفها من الجندل (جذوع النخيل) المغطى بالدعن .. وهذا يساعد على تلطيف الحرارة في الصيف داخل غرف القلعة .

وفي العادة كانت تبنى أبراج للمراقبة خارج المدينة وتكون المسافة بين البرج والآخر حوالي كيلو مترين .. وهي في بعض الاحيان جزء من السور الذي يحيط بالمدينة ويبنى على شكل دائري أو مربع .. وارتفاعه في الغالب حوالي ٥٠ قدماً .. وكان البرج .. أو ((البري)) كما تنطق الكلمة محلياً .. يستخدم للمراقبة والحراسة .. ويسمى أحيانا ((المقبض)) وهي مشتقة من احدى مهماته حيث كان يقبض فيه على المجرمين ويستخدم سجنا لهم .. أو أن من يقبض أو يستولي عليه فقد استولى على المدينة التي يقف هذا البرج حارسا لها .. ويشار لها أحيانا باسم ((المفتول)) وقد اشتق هذا الاسم من الفعل ((فتل)) ((ويقصد به لغويا)) الذي يدور وبطبيعة الحال تكون فيه فتحات للرماية .. وفي قمة كل برج طربوش يساعد في المراقبة .. وعلى سطحه تكون هناك سارية لعلم البلاد الذي يرفع في المناسبات .. وفي أوقات الطوارئ والاستنفار .. وفي الليل .. اعتاد جنود الحراسة عند سماعهم لأي صوت المناداة مستفسرين عن القادم الذي يجب أن يعرف عن نفسه فوراً وإلا تعرض لإطلاق النار .. أما طريقة التحذير للقادمين بالليل الى المدينة فهو الصوت أو اطلاق رصاصة واحدة من البندقية المسماة محليا ((بالتفق)) .. أما اذا كانت هناك؛ غارة ووجب التحذير منها فتطلق طلقتان .. أما أطلاق ثلاث طلقات فمعناه مناسبة سعيدة مثل رؤية هلال رمضان أو هلال شوال وقدوم عيد الفطر أو وصول حاكم البلاد بعد غيبة .. أما اطلاق سبع طلقات فإنها تشير الى حدث هام كغيبة أحد أبناء المدينة لفترة طويلة ولا يعرف عنه شيء .

وعن القلاع في العين فهي كما ذكرنا متعددة .. منها : قلاع المريجب ، الجاهلي ، القلعة الشرقية ، المويجعي ، المربعة ، الدرمكي ، الرميلة ، القطارة ، الواجدي ، الهيلي ، مزيد ، العانكة .

وتعتبر قلعة المريجب من أقدم القلاع التي شادها آل نهيان في العين .. وذلك في أواخر عام ١٨١٦ في عهد الشيخ شخبوط بن ذياب .. ولها برجان أحدهما للمراقبة والثاني مربع الشكل ضخم المبنى يضم عدة ممرات واسعة كانت تستخدم في الغالب لأقامة الحراس .

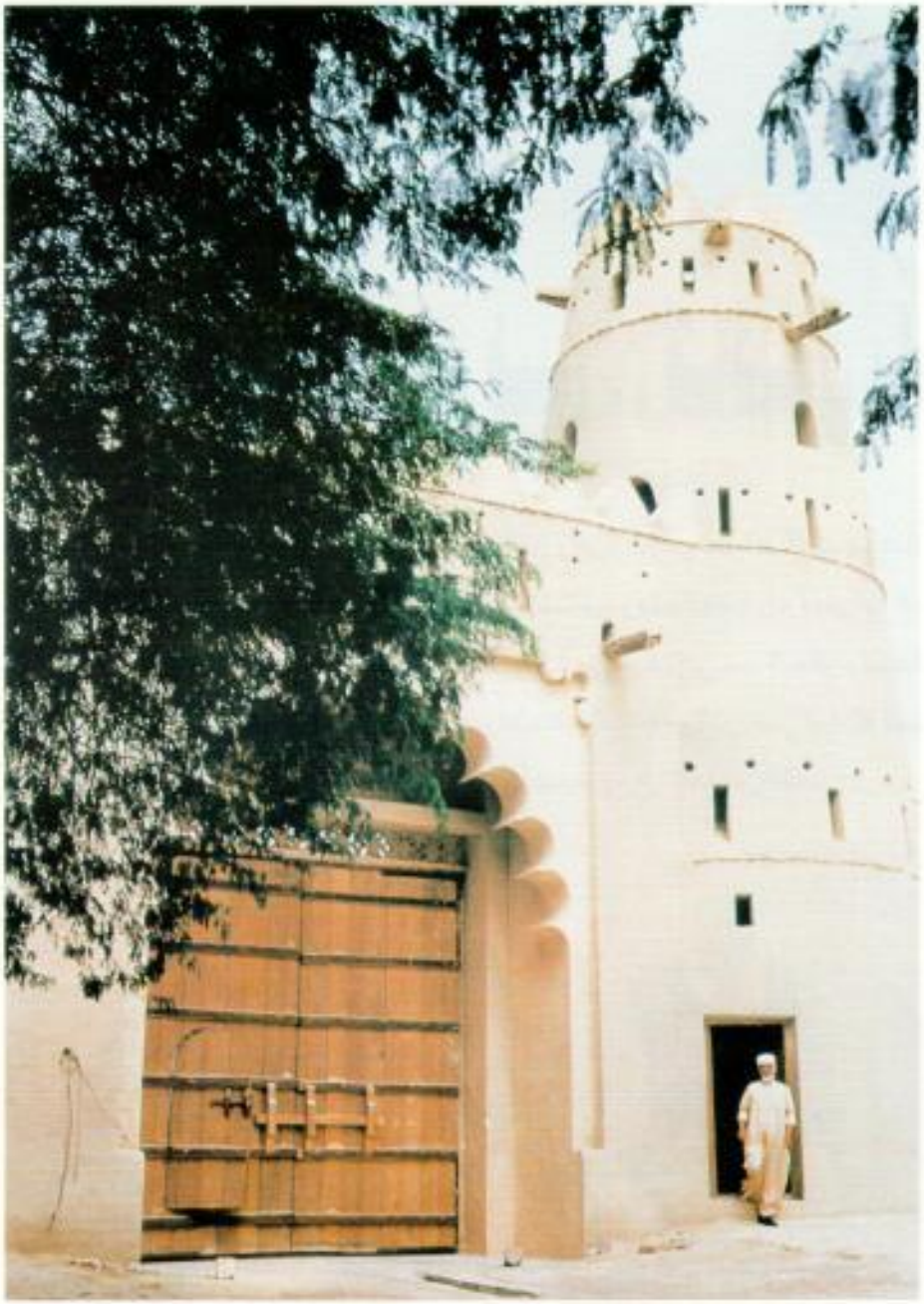

احدى بوبات القلعة

وقلعة الجاهلي من أكبر قلاع العين والتي تتميز بالروعة في بنائها .. وبناها سمو الشيخ زايد بن سلطان بن خليفة (زايد الأول) عام ١٨٩٨ .. ولها ثلاثة أبراج .. وارخ لها بلوحة على بابها كتب عليها :

فتح باب الخير في باب العلا

حل فيه السعد بالعليا المنيفة

وتهاني العز قالت أرخـو

دار جد شاد زايـد بن خليفة

والقلعة الشرقية التي اقيم متحف العين بجوارها عند انشائه عام ١٩٧١ ميلادية تقع في وسط مدينة العين .. وبناها الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان عام ١٩١٠ قبيل فترة حكمه لامارة أبوظبي التي امتدت من عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٢٦ .. وللقلعة ثلاثة أبراج .. وبابها مصنوع من الخشب السميك المغروس فيه مسامير غليظة من الحديد المدبب .. وسورها عريض مرتفع به فتحات لاستعمال المدافعين .. وفي القلعة ساحة كبيرة وبئر للمياه وعلى بابها كتب بيتان من الشعر :

لاح نجم السعد في باب العلا

مجده باق على رغم المعاند

أشرق التاريخ باليوم السعيد

شاد بيت الملك سلطان بن زايد

وأقام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قلعة المويجعي عندما تولى حكم المنطقة الشرقية عام ١٩٤٦ .. وقد أقام فيها سموه حتى عام ١٩٦٦ عندما تولى حكم أبوظبي .. وهي عبارة عن بناء مربع كبير تحيط به أسوار عالية يصل ارتفاعها الى خمسة أمتار .. ويوجد في الزاوية الشمالية الغربية وفي الزاوية الجنوبية الغربية بناءان كبيران لغرض السكن والاقامة .. ولها برج مربع زين مدخله ونوافذه برسوم هندسية جميلة .

وبنى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة قلعة أخرى هي قلعة المربعة أثناء حكم سموه للمنطقة الشرقية عام ١٩٤٨ .. وقد اكتسبت اسمها من شكل برجها الضخم مربع الشكل .. الذي توجد به عدة فتحات مختلفة الأشكال والاتساع .. وهي الآن مقرا لفرع الشرطة الذي سمي باسمها ((شرطة المربعة)) .

وتوجد أيضا قلعة الرميلة وهي عبارة عن قلعة مربعة الشكل ضخمة المساحة .. وتتكون من طابقين .. ولها سور مرتفع يحيط بها .. وهناك قلعة الدرمكي التي تنتمي الى قبيلة الدرمكي ويعود تاريخها الى القرن الثامن عشر .. وبنيت في منطقة القطارة على مكان مرتفع .. وخصص أحد أبراجها للسكن ويضم عدة غرف .. والثاني للمراقبة .

وهي مثل معظم القلاع لها ساحة فسيحة وبها بئر ماء .. وبالقرب منها قلعة القطارة .. وهي قلعة قديمة لم يبق منها إلا بقايا .. مثلها مثل القلعة التي عثر عليها بجوار السوق القديم في القطارة .

ولم يبق من قلعة الواجدي قرب القطارة إلا أسوار وبعض الحجرات القديمة .. وبرج مربع ضخم تهدم أحد جوانبه .. وتحيط بها بيوت قديمة مبنية من الطين واللبن والحصى وهي نفس مادة بناء القلعة .. وهناك شواهد تدل على ان القرية كانت مزدهرة في الماضي .

أيضا لم يبق من قلعة هيلي إلا بقايا في مزرعة قرب منطقة الآثار .. على عكس قلعة مزيد التي تتميز بالكبر والاتساع .. وهي تقع في قرية مزيد الى الجنوب من مدينة العين .. ومبناها مستطيل وله سور ضخم .. وبابان كبيران .. والقلعة لها ثلاثة أبراج دائرية في كل ركن برج .. أما الركن الرابع فيه برج ضخم يتكون من طابقين وبه بعض الحجرات .. وقلعة العانكة عبارة عن برج مربع ضخم .. لها سور مرتفع يحيط بها وتتكون من طابقين .. وتقع على بعد ٥٥ كيلو متراً من العين على طريق أبوظبي.

القضاء العرفي .. قانون بادية سيناء

القضاء العرفي في بادية سيناء يعتبر من أهم وأبرز ألوان التراث المعنوي هناك، وهو الأساس في حل المنازعات والمشاكل كبيرها وصغيرها التي قد تحدث بين القبائل، وهذا القضاء له احترامه الذي يصل الى حد القدسية ولا يجرؤ أحد على مخالفته أو عصيانه، وهو الأمر الذي يصل الى حد العار وتتناقله القبائل على مر العصور.

وهذا العرف القائم على التقاليد والعادات والاحكام السابقة والتراضي توارثه القضاة أبا عن جد، كل في مجاله المعين، وقد اعترفت به السلطات المدنية في سيناء حتى أصبح بديلا نافذا عن القانون.

يجهز سلطان القهوة الأواني والفناجين كي يقدم القهوة والشاى الى حاضري الجلسة

يلجأ افراد المجتمع الى القضاء العرفي لفض كل منازعاتهم ويحترمون أحكامه وينفذونها

وللتعرف على القضاء العرفي في بادية شبه جزيرة سيناء المصرية نبدأ بالتعرف على بداية النزاع الذي يقود للتقاضي، فعند حدوثه، يمكن لإحدى القبيلتين المتنازعتين طلب هدنة، ويطلقون عليها "عطوة"، وتتراوح مدتها بين ثلاثة أيام الى سنة وشهرين، ويتم عقد الهدنة أو قبول العطوة بحضور مشايخ القبائل المتنازعة ومشايخ قبائل أخرى وقضاة، ويمكن للقبيلتين أن تعودا للتنازع مرة أخرى بكافة أشكاله بعد انتهاء فترة العطوة التي لا يجرؤ أحد على خرقها، وإذا حدث فإن القاضي يقتص منه ضعفين عند القضاء، أما إذا اتفقت القبليتان المتنازعتان على الصلح، اجتمع حسيباهما ومشايخ القبائل الأخرى وكبارها، ويتم دفع التعويضات الناتجة عن الخسائر، فالقتيل المعروف من قتله تكون ديته مائة بعير أو ثمنها، والقتيل غير المعروف قاتله يهدر دمه، والغنائم لا ترد، ثم يعقد الصلح.

ولاسترداد الحقوق قبل التقاضي، هناك عادة قديمة متوارثة يسمونها "الوثاق"، وهي تشبه الرهن، وهي عند العرب شريعة وقانون، وفيها يقوم صاحب الحق بمطالبة المدعى عليه، فإن لم يذعن للحق ولم يطلب قاضيا للفصل بينهما، يشهد عليه، وبذلك يصبح من حقه أخذ الوثاقة منه، أو من إبل قبيلته، وان كان المدعى

ثلاث درجات للتقاضي والمبشع واحد

عليه من قبيلة المدعي أشهد عليه أربع شهادات متوالية في أربع مجالس قبل أن يأخذ الوثاقة، (والوثاقة شروط، ولصحتها لابد أن توضع الإبل الموثوقة في بيت رجل معروف، ويقول له المدعي: إني أضع هذه الوثاقة عندك حتى يفصل في الموضوع"، وإذا أدرك صاحب الإبل أبله قبل إدخالها في بيت الرجل، قاتل من أجلها لاستردادها، وإن لم يدركها لا يستطيع فك وثاقتها إلا بعد حل المشكلة والحكم فيها.

رمي الوجوه

وهناك طريقة سريعة لإيقاف أي نزاع ينشب فجأة ومنع تطوره، وتلك (برمي الوجوه)، ورمي الوجوه معناه الاستنجاد برجل من الوجهاء أو الشيوخ، فعند نشوب النزاع يقول قائل: "رميت وجه فلان بينكما"، وفي هذه الحالة يكف المتنازعان عن النزاع فورا لأن للوجه حرمة كبيرة عند البادية، فإذا استمر المتنازعان في النزاع، فإن صاحب الوجه يقول أن فلان قطع وجهي، ودعاه الى (المنشد)، وهو أحد أنوع القضاة، والذي يفرض عليه عقوبة كبيرة لقطع الوجه، تختلف باختلاف درجة صاحب الوجه المقطوع.

ويعرف البدو في سيناء (الجاهة)، فعند فرض غرامة بحكم على قبيلة ما ولا تستطيع الوفاء بها، يقوم زعماؤها باصطحاب زعماء قبائل أخرى ووجهائها، ويصطحب المحكوم عليه العاجز عن الدفع النساء والأطفال وذبيحة ودقيقا ويتوجه الى صاحب الحق وينصب خيمته بجوار خيمته، ويدعوه الى الطعام ويسترحمه طالبا تنازله عن الغرامة كلها أو جزء منها، ويعرف هذا بالجاهة، وغالبا ما يوافق صاحب الحق على التنازل عن جزء من الغرامة أو الغرامة كلها، كرما وشهامة منه، أما إذا رفض التنازل عن الغرامة أمام وفد الجاهة الذي يضم كبراء ومشايخ من قبائل أخرى أو أمام استرحام صاحب الغرامة، فهذه تعتبر كبيرة في حقه ويعيره العربان بالبخل وعدم المروءة والشهامة.

وبرغم تطور الحياة في بادية سيناء إلا أن مجلس القضاء له مهابته واحترامه، وأحكامه

طحن البن في المصحن بالتقسيرة قبل افتتاح الجلسة العرفية

نافذة المفعول وملزمة للطرفين ولا يجرؤ أحد على مخالفتها، ومن مميزاته أن إجراءاته سريعة وحاسمة، ولم يحدث أن تهرب أحد من تنفيذ الحكم العرفي لأن أهل البادية يتميزون بالشهامة والرجولة والوفاء بالعهود والمواثيق، ويعتزون بكبريائهم وشرفهم، وإذا حدث وأن رفض بدوي تنفيذ حكم القاضي، وهذا لا يحدث، يقوم كفيله برفع الرايات السوداء في مجالس العرب، وهو أمر صعب جدا لا يحتمله أقل الناس رجولة وشهامة في البادية.

أنواع القضاة

ويختلف القاضي العرفي حسب نوع النزاع، وقد اشتهرت أسماء معينة في كل نوع من أنواع القضاء، ومن أنواع القضاة العرفيين: رجال الصلح، وهم كبار القبائل ووجهائها، وترفع اليهم المظالم التي لا يمكن إنهاؤها إلا بالصلح لعدم توفر الشهود والأدلة، وهناك (المنشد) وهو القاضي الذي يختص بقضايا خدش الشرف والاعتداء على المنازل وقطع

كل الاحكام العرفية بالغرامات المالية ودية المرأة ضعف دية الرجل

الوجه والإهانة الشخصية.

وهناك قضاة يسمونهم (القصاص) ، وهو بالطبع غير قصاص الأثر، وسمي بذلك لأنه يقص الجروح، أي يقيسها، ويقضي لأهل القتيل بالدية مقومة بعدد من الجمال يترجم فيما بعد الى قيمة مادية، ودية المرأة ضعف دية الرجل، لأنه من العيب أن تقتل أو يمسها أحد، والقاضي في حالة الجروح يقيس الجرح ثم يحكم بالغرامة على الجاني حسب طول الجرح وعرضه ومكانه.

أما (العقبي) ، فهو قاض يطلقون عليه في البادية قاضي النساء، وهو يختص بنظر الخلافات بين الزوجين ويحكم في مشاكل الطلاق والمهور وهجر الزوج لزوجته إذا تزوج بأخرى.

والقاضي (الزيادي) هو الذي يختص بقضايا المال والسرقات وكل المشاكل المتعلقة بالإبل، والقاضي (الضريبي) هو قاضي الإحالة أو ما يمكن أن يسمى في القضاء المدني قاضي الدرجة الثانية الذي يلجأ اليه من سلب ماله، إذا رأى أن الزيادي لم ينصفه، أو اذا اختلف الخصمان في شأن القاضي الذي يحكم بينهما، فعندئذ يرفعان أمرهما الى الضريبي

الذي يفصل في الدعوى.

والقاضي (المبشع) هو القاضي المختص بالجرائم التي ليس لها شهود، وفي هذه الحالة يختار المتهم اللجوء الى البشعة، أي لحس النار بلسانه، وهي عادة لدى البدو منذ القدم، فإذا إدعى أحدهم على الآخر بحق ثم أنكره عليه، يتفقان أمام شهود على أن يقوم المدعي والمدعى عليه باللجوء الى المبشع، حيث يقوم الشخص المنكر للحق بلعق البشعة بلسانه، والبشعة عبارة عن طاسة معدنية توضع على النار حتى يحمر لونها، وإذا أثرت في لسانه يكون محقوقا، وإن لم تؤثر وخرج سالما منها يكون مظلوما، ويذهبان، ومع كل منهما وفد من قبيلته، الى المبشع في الموعد المحدد فيضع الطاسة على النار لمدة طويلة حتى يحمر لونها ثم يمسحها بكفه، ويعطيها للمدعى عليه ليلعقها بلسانه. وهناك من أهل رجال الخبرة، يعتبرون في مقام القضاة ويلجأ اليهم الناس لحل النزاعات والاختلافات، وأحكامهم نافذة ويستند اليها القضاة الأخرون، وهم : أهل القطاعات، خبراء الزراعة والأراضي الزراعية، (والمسوق) وهو خبير الإبل وتسلم على يديه الغرامات، و(قصاص الأثر) وهو خبير الأثر ، و(المشايخ) يباشرون القضايا التي تتعلق باجور الجمال وحقوق القبائل فيها، والحسباء: وهم أهل الخبرة في المسائل التي تتعلق بتقاليد العرب والعهود والمواثيق، و(أهل العرايش) وهم خبراء وقضاة النخيل وما يدور حولها من نزاعات.

درجات التقاضي

للتقاضي، في بادية سيناء ثلاث درجات لكل نوع من أنواع القضايا عدا المبشع فهو قاض واحد ودرجة واحدة.

فعند وقوع خصومة بين قبيلتين يتفقان على تسمية ثلاثة قضاة، ثم يحذف كل طرف من طرفي الخصومة قاضيا ويبقى الثالث الذي يصبح هو قاضي النزاع،

سلام القاضي قبل افتتاح الجلسة ..يلعب القضاء العرفي في شمال سيناء دورا هاما في الحفاظ على الروابط الاجتماعية

تسير المرأة البدوية مسافات بعيدة لترعى أغنامها وغالبا ماتكون بمفردها

فإذا ما رضي الطرفان بحكمه اصبح الحكم نهائيا وملزما للطرفين، فإذا لم يرض أحدهما بالحكم ذهبا الى أحد القضاة اللذين تم حذفهما في البداية، فإذا جاء حكمه مؤيدا لحكم القاضي الأول أصبح الحكم نافذا، وان اختلف معه ذهبا للقاضي الثالث الذي سبق تسميته، وفي هذه الحالة يصبح حكمه نافذا.

وبعد اختيار القاضي الأول، يتعين على كل طرف من أطراف النزاع أن يعين كفيلا له ويسمى (كفيل وفاء)، ويشترط فيه النزاهة والشرف والأمانة ويتمتع بسمعة طيبة. وجرت العادة أن يقوم طرفا النزاع بدفع مبلغ متساو الى القاضي وتعرف عند البدو (بالرزقة) وتخصص للإنفاق على الطعام والمشروبات أثناء نظر الدعوة، إلا أن بعض القضاة من الأعيان يقومون بإعداد الطعام على نفقتهم دون أخذ الرزقة، ويسترد المحكوم لصالحه الرزقة التي دفعها.

ويكفي شاهد واحد في القضاء العرفي لإثبات الدعوى ،ويكون رجلا أو إمرأة أو شابا في سن الرشد، ويتمتع بسمعة طيبة، ويحضر طرفا الخصومة وأقاربهم الى ديوان القاضي المتفق عليه في الزمان والمكان المحددين، حيث يجلسون على شكل دائرة كبيرة يتوسطها موقد النار الذي تعد عليه القهوة العربية والشاي، ويستقبلهم القاضي مرحبا ويقوم بإعداد طعامهم سواء العشاء أو الغداء حسب الوقت الذي حضروا فيه.

وعند نظر القضية، يطلب القاضي من كل طرف سرد إدعائه ضد الطرف الأخر، مؤيدا بالبراهين والأدلة، ويسمى هذا السرد (الحجة)،

وبعد أن ينتهي كل طرف من سرد حجته، يعيد القاضي كل ما سمعه من كل طرف بأدق التفاصيل، ثم يستمع الى الشهود الذين تثبت شهادتهم بحلف اليمين وله ثلاث طرق منها أن يقف الشاهد في وسط دائرة مرسومة على الأرض ووجهه في اتجاه الكعبة ويحلف بست كلمات أولها الله وأخرها الله ثم ينطق بالشهادة، أو أن يطلب المدعي من المدعى عليه أن يقول الحق حيث يضع يده على رأسه ويحلف بثلاث كلمات أولها الله وأخرها الله، ثم يسأله أن يقول الحق، أو أن يضع المدعي يده في حزام المدعى عليه ويحلف بثلاث كلمات أولها الله ،وأخرها الله، ثم يسأله أن يقول الحق، ويسمى هذا الحلف (الحلف بالحزام).

ورد دعوى القاضي لا يكون إلا في حالة واحدة، أن يكون أحد الخصوم قاصرا، فلوليه الحق في رفض الحكم وطلب إعادة الدعوى، ويعرف ذلك :(بالتقويل)، وإذا اتفق خصمان على موعد الذهاب للقاضي وغاب أحدهما يحق عندئذ النطق بالحكم غيابيا مالم يتبين بعد ذلك أنه غاب لعذر شرعي، والمبدأ العام كما هو معروف في الشريعة الإسلامية ، أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وهم يقولون في بادية سيناء:(البينة لها لبيان، والخفية لها الأديان) ..أي اليمين. وجميع الاحكام في القضايا العرفية تكون بالغرامة المالية، وليس عندهم حكم بالحبس أو القتل أو الضرب، سواء في القضايا الجنائية أو المالية أو أي نوع أخر من القضايا.

دينار صاحب الحمار بالقيروان سنة ٣٣٣ هـ

■ عبد الله جاسم المطيري

■ قد يبدو غريباً كيف أن ((صاحب حمار)) يضرب ديناراً ولكن الأمر يصبح سهلاً عندما نعرف حقيقته ، فهو الثائر البربري أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري . أحد زعماء الخوارج، ويدعى ((صاحب الحمار)) لركوبه حماراً أشهب ثار على الفاطميين واستولى على القيروان في زمن الخليفة الفاطمي القائم بالله في العام ٣٣٣هـ - ٩٤٤م ، وضرب دنانير في العام نفسه وعليها شعار الخوارج ((لا حكم الا لله)) . ينتسب ابو زيد الى قبيلة زناته في مدينة توزر. وخالط جماعة من النكاريه فاعتنق مذهبهم وكان يفكر في الخروج عن طاعة الخليفة المهدي بالله ، وفي عهد الخليفة القائم بالله كثر اتباعه وتلقب ((بشيخ الموطيين)) واستولى على بجاية ومرمجنة وهزم قبيلة كتامة ودخل ((سبيبة)) و (الاربس) ونهبها وقتل كثيراً من أهلها وعسكر بالقرب من ((المهدية)) فانتقل أهلها الى طرابلس ((طرابلس الغرب)) ومصر وصقلية .

وفي سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م انتشرت جيوشه في أرجاء الولايات الفاطمية فكتب الخليفة القائم بالله الفاطمي الى زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجه ليعاونه .

وفي هذا الوقت تحسن وضع الفاطميين فاضطر ابو يزيد الى الانسحاب والتوجه للقيروان وجعلها قاعدة له وأجبر أهلها على مقاتلة الفاطميين ، وعزم على أن يسك فيها ديناراً ذهبياً يرمز الى انتصاره على الفاطميين .

وقد أضاف الى شعار الخوارج لا حكم الا لله)) شعارات أخرى هي ((ربنا الله الحق المبين)) و ((العزة لله)) و ((الذين أمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)) وذلك تعبيراً عن الوضع السياسي في منطقة المغرب وتأكيداً لحركته الثورية وبنجاحه في القضاء على الأسرة العبيدية .

تفاصيل مأثورات الدينار

الوجه الأول : الهامش : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

الوسط : ربنا الله
لا حكم الا لله
وحده لا شريك له
الحق المبين

الوجه الثاني الهامش الأول : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

الهامش الثاني : الذين أمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .

الوسط : العزة لله
محمد رسول الله
خاتم النبيين

٢

■ بقلم: دافيد جي هيرد
ممثل شركة نفط أبوظبي المحدودة

السبخة تبتلع الحفارة

■ في العام ١٩٦٣ كانت [أبو أحمد] هي الطائرة الرئيسية لدى شركة الخليج للطيران (طيران الخليج فيما بعد) ، والتي عرفت عالمياً باسم دي سي ٣ أو (داكوتا) ولا أدري سر هذه التسمية حتى الآن ، وكنا لا نزال واقفين في سهل من السبخة قريباً من جبل الظنة نراقب هذه الطائرة العتيقة وهي تكافح للتحليق بينما أحد محركيها يتحشرج ، ويصدر صوتا كما صوت السعال ، حتى اختفت أخيراً عن ناظرينا بعيداً في البحر فوق جزيرة صير بني ياس ، عائدة مرة أخرى الى البحرين . ■

■ كنت قد وصلت من لندن الى البحرين قبل يومين ، وافداً جديداً بالمرة ، تخرج لتوه من الجامعة . ولم أكن قد شاهدت كثيراً من تلك السيارات الكبيرة ، والتي كانت من الضخامة لدرجة انه اذا انطلق صوت (البوق) في مقدمتها وهي بمنطقة السوق تردد صداه وسمعه من في منطقة (باب البحرين) . انطلقت بنا إحدى هذه السيارات الى مطار البحرين لتستقبل الطائرة دي سي ٣ في رحلتها اليومية المتجهة من هناك عبر الساحل المتصالح الى جبل الظنة وطريف بعد أن أزيلت غالبية المقاعد الثلاثين لتحول الكابينة الى غرفة شحن عابقة بتلك الرائحة النفاذة التي لا تنسى والتي هي خليط من رائحة البصل ورائحة الكيروسين .

كان الجو دافئا ، وبمجرد أن ارتفعت الطائرة محلقة شعرنا بالهواء البارد يتسلل الينا من خلال فتحات صغيرة ، وبعد فترة من التحليق بطائرة خاوية من المقاعد فوق الصحراء القطرية ، هبطت بنا الطائرة على مدرج خشن وغير مجهز في جبل الظنة ، حيث لا أحد في استقبالنا ، غير أن أحد أفراد المجموعة أكد لنا أن قائد الطائرة سيبلغ شركة أبوظبي للبترول عبر الراديو (اللاسلكي) عن وصولنا .

لم أكن أعرف شيئاً مطلقاً عن هذه البلاد ، ولا عن شعبها ، أو عقيدتهم ، عاداتهم ، تقاليدهم ، ولا طريقة معيشتهم وحين وصلت الى هذا الشعب الغريب عني ، الشعب العربي نشأ صراع داخلي حاد بين احساسي بعدم الطمأنينة ، والجهل في مغامرتي الجديدة وبين الاحساس بالثقة التي علي أن أشعر بها جراء وضعي الجديد ، فأنا خريج جامعة بريطانية وأعلم أنني موجود في جزء من العالم حيث لا تزال بريطانيا لها نفوذ وتأثير ، كما أنني سأكون أحد العاملين في الشركة . وخططت للبقاء في هذه البلاد لبضع سنين فقط ، ولم يقترح أحد أنه عليّ أن أعرف العرب القليلين الذين سوف ألتقي بهم

ها هي الدي سي ٣ وقد تخلت عنا وتركتنا في هذه الصحراء الجرداء وتساءلت في نفسي ... هل هذه الصحراء ستكون هي مسكنا لنا للشهور والأيام القادمة ؟ وبعد انتظار بدا كأنه ساعات لاحت على البعد سيارتا لاندروفر تتجهان نحونا ، ونزل منها سائقان هنديان ، قالا أن الوقت ما يزال مبكرا ، وسألانا عن سبب نزولنا في جبل الظنة ، ولماذا لم نبق بالطائرة حتى طريف ؟

وبعد أن شرحنا لهم ما حدث لنا وللطائرة أخذانا الى معسكر الشركة في جبل الظنة ، بضع كرافانات متناثرة على رمال شديدة البياض تعكس أشعة الشمس لتزيد من آلام العينين ، وعلى البعد معسكر آخر لأحد المقاولين به بضع كرفانات أخرى في اتجاه البحر ، وجزيرة أمامنا ، وتلال منخفضة الارتفاع من ورائنا ، وارتفعت حرارة الجو لدرجة اختفى معها البشر ولم يظهر أحد منهم مطلقاً ، وأرشدنا السائق الى أحد الكرافانات التي ليس لها أي نوافذ لكنها كانت باردة من تأثير مكيف الهواء حيث انتظرنا هناك وفي ركن الكرافان ، كانت القرقعة والنفمات المتحشرجة والموجات المشوشة تنطلق من جهاز الراديو اللاسلكي ، الذي كان وسيلتنا الوحيدة والواهية للاتصال مع العالم الخارجي .

في الوقت المحدد زحفنا الى اللاندروفر التي انطلقت بنا الى الطريق الرئيسي الصاعد الى طريف ، ومررنا على برميل نفط قديم يعلوه الصدأ ، على كومة عالية من الرمال ، وعلى جانب الطريق كلمة واحدة مكتوبة تتكرر كل فترة (الرويس) ، ولا توجد أية مظاهر تدل

على أي نشاط بشري حتى وصلنا الى حاجز للشرطة في المرفأ وخرج شرطي عربي عجوز من الخيمة المجاورة للحاجز ، وتبادل بعض الكلمات مع السائق الهندي ، ثم رفع للحاجز ، لنتمكن من المرور الى الطريق الذي حددت معالمه بقطع من الحجارة ذات طلاء أبيض وثمر بجوار بعض الخيام . وسرعان ما وصلنا المرفأ اجتمع عليّ الارهاق الناجم من شدة حرارة الجو ، مع قرقعة السيارة وانعطافاتها الشديدة وسرعتها على الطريق الصحراوي ، غير أن تأثير ذلك كله لم يكن أسوأ من اكتشافي أن جواز سفري قد تحول ما يشبه العجينة الطرية في جيب الجاكيت الذي كنت أرتديه .

كان سطح الطريق مدكوكاً من كثرة الاستخدام ، واكتسى لونه الأسود من اطارات السيارات ، والبترول المتسرب من المركبات التي تسير عليه لكن منحنى ظهر فجأة ، وضغط السائق على الفرامل فجأة فتناثر الركاب في السيارة مع تكون سحابة كثيفة من الغبار من خلفنا . عدلنا من وضعنا وعاد السائق ليضغط مرة أخرى على البترول بشدة لينطلق في سباق جديد على أحد الممرات التي اختارها عبر سهل من السبخة .

في ذلك اليوم من أغسطس عام ١٩٦٣ كان الطريق المؤدي الى طريف ضيقاً جداً ، وفي بعض المناطق متعرجاً بشدة الأمر الذي كان جديداً بالنسبة لي ، وكان لكل سائق طريقته الخاصة وطريقه الخاص أيضاً للهروب من هذه التعرجات أو تجنبها قدر الامكان من بيتها طريقة زيادة سرعة المركبة على أمل تجنب الاهتزاز والقرقعة الشديدة للسيارة . وكانت عيون الركاب تسبق عيني السائق على الطريق على أمل اكتشاف الصدمة الخطيرة التالية والتي تسبق طيران السيارة في الهواء .

ونتيجة لزيادة الحركة على هذه الممرات والطرق في السنوات الأخيرة فقد أصبحت أكثر اتساعاً ، وذات اتجاهين لكنها لا تزال تحتفظ بالعلامات المميزة نفسها لمسافة عدة أميال ، وكانت السيارات تتعطل أو تتحطم على هذه الطرق الوعرة ويتوجب على قائدها المشي عبر هذه الصحراء ليجد من يساعده ، وغالباً ما كان يموت من العطش قبل أن يجد من يقدم له المساعدة المطلوبة .

أما الطرق السريعة والحديثة من الدرجة الأولى التي نراها ، ونسير عليها حالياً ، فقد تم انشاؤها بعد سنوات لاحقة لهذا التاريخ .

وبعد أن تركنا تلال المرفأ خلفنا كانت هناك سهول السبخة عديمة الملامح ، وعلى امتداد البصر يبدو البحر الأزرق وكأنه يهجم على اليابسة في هجمات متتالية ، وبدت التلال الصغيرة ، والصحراء المحيطة والرمال والسبخة كأنها جزيرة ، لأن معسكرات الفريق الجيوفيزيائي بمنطقة الرديم كانت على يسارنا ولا بد أنها في جزيرة بالفعل ، وأخيراً شاهدنا تلة عالية ، وأحد صواري اللاسلكي في طريف ، المحطة التي نريدها وكان واضحاً أنها محاطة بالماء ، على الرغم من أنه عندما اقتربنا منها أكثر أخذ الماء في الاختفاء حتى أدركنا حقيقة أن البحر كان على مسافة ميل على الأقل وأنه ما شاهدناه قبل ذلك كان سراباً وخيالات .

وبعد رحلة مضنية استغرقت ثلاث ساعات تم استقبالنا في طريف ، وأخذ عامل حقيبتي الى كرفان صغير بعجلتين اثنتين والذي أصبح فيما بعد سكني الخاص . أسرعت لتناول الغذاء ويا للعجب .. لقد كان الطعام أحسن بكثير مما تخيلت وقلت في نفسي لا بد أنها مناسبة خاصة ، ولكني سرعان ما عرفت أن الطعام في طريف يقدم يومياً بواسطة السادة / البير أبيلا وكان ممتازاً بحق . خلال تناولي الغذاء سمعت أناساً يتكلمون عن أحدى الحفارات في حقل النفط رقم ٢٥ ، وذكروا أن الحفارة تغوص في السبخة وأن السبخة ستبتلعها في النهاية .

لم أكن قد رأيت حفارة من قبل ، كما لم اسمع عن السبخة أيضا ولا أعرفها .. وقال الناس أنه من الخطر العبور الى هذه المنطقة بعد نزول المطر ، وفهمت من المناقشات أن أحدى الآليات الكبيرة ، وبعض الآلات الأخرى ، وبرجاً وأنابيب وأشياء أخرى كلها في طريقها للإختفاء في السبخة . لقد كان الأمر خطيراً جداً ولكن قبلت بسعادة الدعوة التي وجهت اليّ من أحدهم لقيادة السيارة لمسافة قصيرة لأرى ماذا كان يجري هناك . ●

ترجمها وأعدها للنشر:

حنفي محمود جايل

الشبير .. المروحة .. الديك والدجاجة .. اليفيرة .. لحاماة .. أم العيال

الألعاب الشعبية

مرح الطفولة على صفحة الوطن

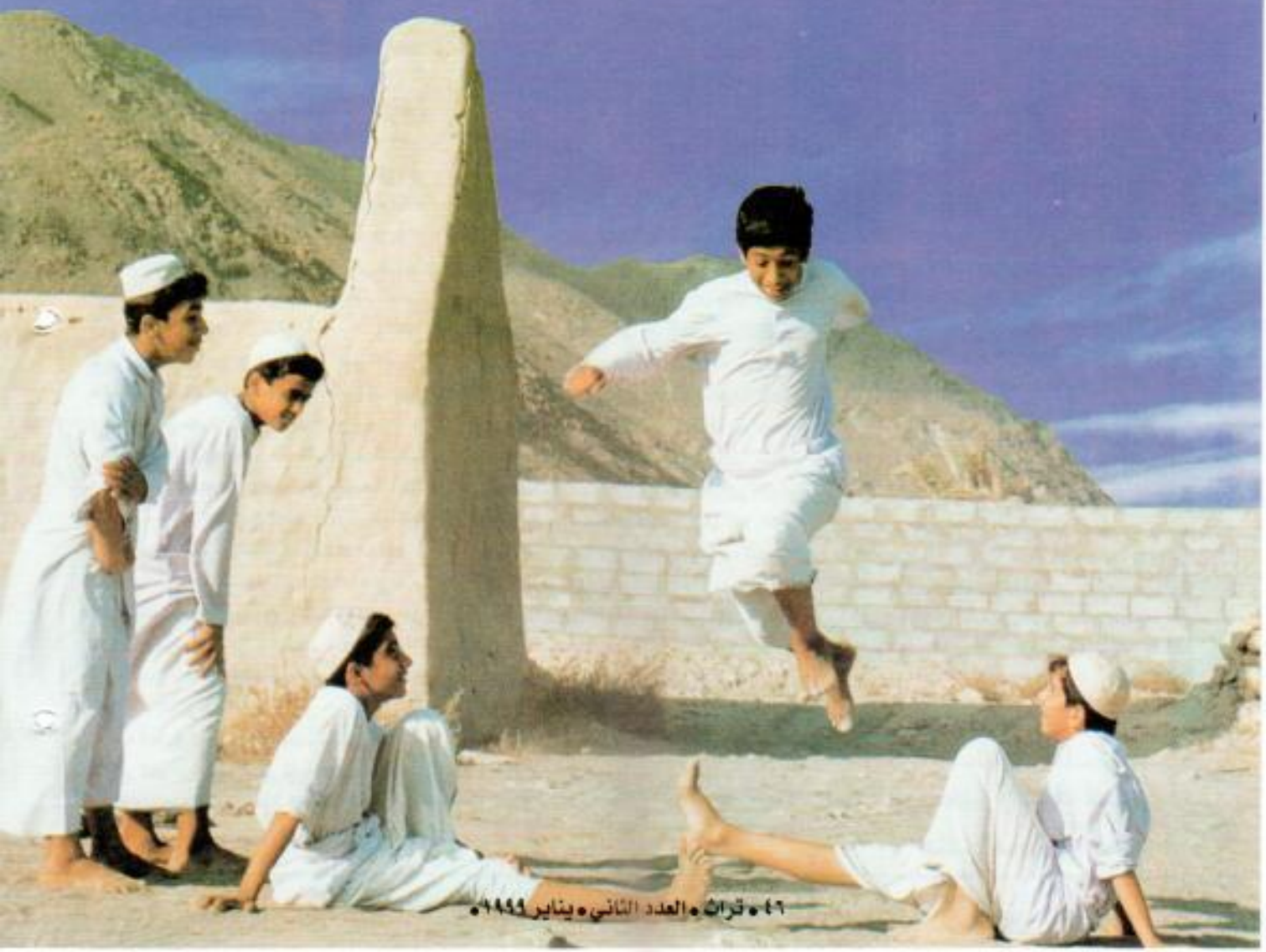

لعبة الديك والدجاجة

■ العابنا الشعبية كانت هي مرح الطفولة وأنشودتها التي يتردد صداها على السيف وتحت النخل وفوق الشجر .. بجوار بيت الشعر أو العريش أو الخيمة .. أدواتها بسيطة بساطة الحياة وقتها .. من البيئة استقت شكلها ومضمونها وأسمها وأدواتها .. وبها ارتبطت .. ومع نسماتها العليلة رطبت قلوب الصغار .. وشرحت صدور الكبار وهم يطالعون أولادهم يمرحون ويلعبون لا يشغلهم شاغل ولا يعكر صفو طفولتهم خاطر عابر .

ومن هذه الألعاب : الشبير والمعوكزي والدومة والكواويد والغمة أو الغميض ، القرقعانة والعنبر وطاق طاق طاقية وسبيت حي ولا ميت. ومن ألعاب البنات : الشقحة والقراحيف وأم العيال والكرابي . من الألعاب

تغرس روح الجماعة وتزرع روح المودة بين الاطفال

السهلة والبسيطة التي كانت منتشرة أيام زمان لعبة ((الشبير)) .. ويلعبها الأولاد في الغالب .. حيث يجلس لاعبان متقابلان على الأرض ويمد كل منهما إحدى رجليه الى الأمام ناحية اللاعب الآخر .. ويقوم أحدهما بوضع كعب رجله فوق أصابع رجل زميله .. ويقوم البقية بالقفز فوق هذا الحاجز .

لعبة بسيطة جدا وسهلة .. وفرضتها قلة الإمكانيات زمان .. لكنها كانت مسلية ويقبل عليها الأولاد وتنمي فيهم روح المنافسة .

والغريب أن لعبة (الديك والدياية) يمارسها الأولاد داخل مياه البحر الضحلة .. فهم يشكلون دائرة .. ويقوم أحدهم بضرب الماء بواسطة أصابعه .. فإذا أحدث صوتا فهو ((ديك)) وإن لم يحدث الصوت فهو ((دياية)) وكل منهم بالطبع لا يحب أن يكون دياية .. ومن هنا يكون المرح .. ومن هنا تكون المنافسة في بساطتها الشديدة .. لأن المياه أحيانا لا تمكن اللاعب من إحداث الصوت الذي يسعى له .

ولعبة (المروحة) من الألعاب الشعبية البسيطة والتي تعتمد على خامات البيئة في تكوينها .. وفي الغالب يلعبها الأولاد الصغار لبساطتها .. ولأن الأكبر سنا يتجهون للألعاب الأكثر إثارة ومجهودا وتنافساً .. والمروحة في هذه اللعبة تصنع من خوصة من سعف النخيل .. ويثبت فيها قائم بسيط .. وإما تتحرك المروحة من تلقاء نفسها مع تعرضها لتيار هواء.. أو أن يقوم الطفل بتحريكها بإصبعه .

لعبة المحماة

لعبة اليفيرة

أخذت من الحياة باطنها واستقت من البيئة أدواتها

و ((اليفيرة)) من ألعاب البنات .. وهي
وافق طبيعتهن حيث يلعبنها وهن جالسات ..
ولا يتجاوز عددهن أربع فتيات .. حيث يحفرن
حفرة بسيطة ويضعن فيها مجموعة من الحصى الصغيرة .. مع الاحتفاظ بحصاة يطلق عليها الحل .. وتقوم الفتاة الأولى برمي الحل لأعلى بإحدى يديها .. وباليد نفسها تسرع بالتقاط أكبر مجموعة من الحصى المدفونة وتعاود الإسراع في التقاط حصاة الحل بنفس اليد قبل أن تسقط على الأرض .. واللاعبة التي تلتقط أكبر عدد من الحصوات المدفونة تعتبر هي الفائزة .

ولعبة ((المحاماة)) من الألعاب المرحة والبسيطة التي تلعبها الفتيات أيضا .. فيجلسن فيها القرفصاء .. ومع القفز على أقدامهن ينشدن الأهازيج .. والشاطرة بالطبع التي لا تتعب أولا .. ولا تسقط على الأرض وهي تقفز .

ومن اسمها .. يتضح إن لعبة ((أم العيال)) خاصة بالفتيات فقط .. وهي لعبة جماعية لهن .. وفيها تمثل إحداهن دور الأم التي تدافع عن أطفالها ضد ذئب يبغي افتراسهن .. وتقوم بدور الذئب إحدى الفتيات .. ويستمر الصراع بين الأم والذئب .. فإما يرجع خائبا .. وإما يغنم باصطياد بنت أو أكثر بمجرد لمسها . ■

لعبة المروحة

قبـــس من الفـــلك العـــربـي ٢ ـ ٢

■ بقلم :
ســـارة يحـيى الجبـــوري

عرف الفلك منذ العصور الموغلة في التاريخ، وترعرع عبر العصور المتعاقبة.. فقد راقب الانسان حركات النجوم التي تطرز صفحة السماء الظليلة وهو يفترش الارض بساطا.. ومع تقدم الابداعات في ميادين الحضارة والتقدم الزراعي، تطور الفلك وسار موازيا ومتكيفا معها. وقد أشرنا في الحلقة الاولى للتفريق بين التنجيم والفلك، مع إلقاء الضوء على تعريف علماء حضارتنا الاسلامية للفلك وابداعات المسلمين عبر العصور والوقوف عند تقدم هذا العلم أيام الخلافة العباسية في بغداد- دار السلام وعناية الخلفاء به وبعض الانجازات التي تمت فيه. وتحدثنا عن الآلات الفلكية التي عرفها واستخدمها علماء الفلك العرب قبل الارياج والاسطرلاب.ونستكمل موضوعنا للتعرف علي المراصد الفلكية التي اهتم بها علماء الحضارة الاسلامية أيام بني العباس .

■ فنجد أن المراصد هي من ابداعات العلماء في ظل الحضارة الاسلامية الخالدة فقد تبع اشتغال علماء الفلك في رصد حركة الكواكب والنجوم - على إنشاء مراصد فلكية لتعينهم على الرصد الدقيق والعمل المتواصل ، فدفع هذا العمل الخلفاء أنفسهم الى تمويل هذه المراصد ، وتجهيزها بأحسن الأجهزة والآلات الفلكية ، ومن أبرز المراصد العربية .

مرصد جند يسابور

أنشأ هذه في المدينة سابور الأول جنوب فارس عام ٥٥ م ، وبرز مرصدها منتصف القرن التاسع الميلادي ، وعمل فيه أحمد النهاوندي ، واستعمل آلات دقيقة في رصده .

مرصد دمشق

ابتنى الخليفة المأمون مرصدين الأول في الشام والثاني في بغداد ، وأنشيء مرصد الشام على جبل قاسيون قرب دمشق ، وعمل فيه إبن الشاطر .

مرصد المأمون ببغداد

بناه الخليفة العباسي المأمون في الشماسية (الصليخ - من محلات الأعظمية اليوم) ببغداد وجمع فيه المأمون علماء الفلك وعقد لهم مجالس علمية . وعمل فيه الفلكي سند بن علي المنجم المأموني وله زيج مشهور ، وكذلك العباس بن سعيد الجوهري ، ويحيى بن أبي المنصور المُنجم ، وأحمد بن محمد كثير الفرغاني ، وأبناء موسى بن شاكر الذين بنوا لهم مرصداً في باب الطاق على نهر دجلة في بغداد .

مرصد مراغة

شيّده نصير الدين الطوسي ، وهو أعظم المراصد شأناً ، لضخامته ، وتوافر آلات الرصد الدقيقة فيه ، إضافة الى كفاءة العلماء الذين عملوا فيه ، والانجازات التي تحققت من خلاله ولمرصد مراغة قبة تنفذ منها أشعة الشمس لتقابل الخطوط وتبيّن إرتفاع الشمس وميلها بالدرجات .

المرصد الحاكمي في مصر

بنىَ هذا المرصد الخليفة الحاكم بأمر الله على جبل المُقطَّم قرب القاهرة ، وأنشأ بنو الأعلم مرصداً آخر غرف بأسمهم .

ثم بنى العرب مراصد فلكية أخرى منها : مرصد ابن الشاطر ومرصد أنطاكية في الشام الذان عمل بهما العالم القباني و مرصد الدينوري في أصبهان ، ومرصد البيروني ، ومرصد أولغ بك في مدينة سمرقند إضافة للمراصد الفلكية في بلاد الأندلس وساهمت هذه المراصد كافة في تطوير علم الفلك العربي ، مع مساعدة علماء الفلك على تأليف كتب في هذا العلم نحو : الازياج والاسطرلابات والقياسات الأخرى .

مدارس فلكية

نتيجة لإزدهار علم الفلك ورعايته من قبل الخلفاء وبناء المراصد ، فقد أدى ذلك الى ظهور مدارس في الفلك منها :

مدرسة بغداد

كانت هذه المدرسة مركزاً للعلوم الفلكية ، وأول العلوم التي رعته ، ودرسته وكتبت فيه وبقيت

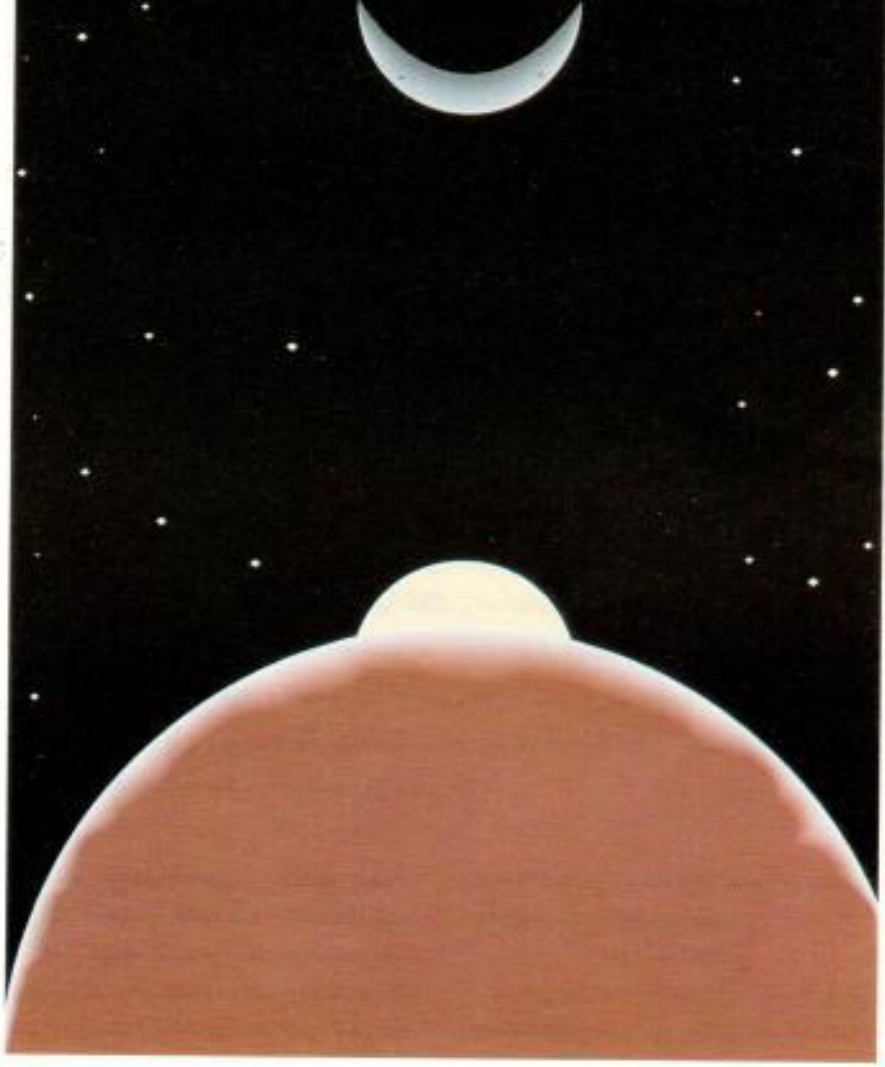

مدرسة بغداد مزدهرة طيلة سبعة قرون . وقد تمكن فلكيون من وضع التقاويم لاماكن الكواكب السيارة وقاسوا خط نصف النهار الذي لم يهتد اليه الغربيون إلا بعد ثنتي الف عام !!

مدرسة القاهرة

تعد ثانية مدرسة فلكية عند العرب ، فقد عوّل عالمها الفلكي إبن يونس المصري مخترع رقاص الساعة على إرصاد أبناء موسى بن شاكر البغداديين وقدمت هذه المدرسة خدمة للعلماء لأنهم استنبطوا معارفهم الفلكية الأساسية من خلال متابعتهم فيها لقضايا علم الفلك .

مصنفات في علم الفلك

أثمرت عقلية علماء الفلك المسلمين على تصنيف كتب فيه ، وقسمت الى أربعة أنواع عند أحد الباحثين وهي :

كتب ابتدائية

وهي بصفة مدخل - فيه مبادىء العلم بالاجمال دون البراهين الهندسية مثل التذكرة للطوسي (ت ١٢٧٤) .

كتب مطوّلة

حيث يجد القارىء فيها براهين هندسية وجداول عددية ، نحو كتاب : المجسطي لأبي الوفاء البوزجاني ، والقانون المسعودي للبيروني .

الازياج

وهي كتب الرصد ، فيها الجداول الرياضية أمثال : الزيج الصابي للبتاني .

الكتب المخصصة

تشمل التقاويم ، والمصنفات في عمل الآلات واستعمالها نحو كتاب : جامع المبادىء والغايات لأبي علي الحسن المراكشي (ت ١٢٦٢)

وألف الصوفي كتابه : صورة الكواكب الثمانية والأربعين ، والبتاني : معرفة مطالع البروج ، والبوزجاني ، الكامل في حركات الكواكب .

أعلام فلكيون

أنجبت حضارتنا العربية الاسلامية عبر عصورها علماء رفدوها بأسهاماتهم وانجازاتهم وابداعاتهم في مختلف ميادين العلوم والمعارف والآداب . ومن علماء الفلك على سبيل الذكر لا الحصر :

البتاني

أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني ، ولد في بتان ، وهو من أبرز علماء القرن العاشر الذين أسدوا أجّل الخدمات للعلوم وللفلك بشكل خاص . وهو من مشاهير علماء المدرسة الفلكية السابقين في بغداد والذي أعده (لالاند) من أشهر عشرين عالماً فلكياً في الدنيا .

وبدأ البتاني عمله في رصد الكواكب عام (٢٦٤ - ٣٠٦ هـ) في الرقة وأنطاكية في الشام وضبط مواقع كثير من النجوم واكتشف أن مواقع البعض منها قد تغيرت عما كانت عليه في زمن بطليموس . وله ارصادات للخسوف والكسوف إعتمد عليها (بنشورن) عام ١٨٤٩م وفي تحديد تسارع القمر في حركته خلال قرن من الزمان .ومن إنجازات البتاني بيانه لحركة نقطة الحضيض للأرض ، كما وأصلح قيمة الانقلاب بين الصيفي والشتوي، وقيمة ميل دائرة البروج على فلك نُخدل النهار ، فوجده مساوياً الى درجة و(٣٥) دقيقة .ودقق في حساب طول السنة الشمسية لكنه أخفق بمقدار دقيقتين و(٢٢) ثانية . وأنشأ البتاني مرصداً له في انطاكية بأسمه ، ووضع جداول فلكية على مستوى كبير من الأهمية والدقة ومن كتبه :

الشرح المختصر لكتب بطليموس الفلكية الأربعة ، حيث خالف وانتقد آراء بطليموس في الفلك بأسلوب علمي مجرد وصحح العديد من مفاهيمه . وله جداول في المثلثات والجيب والمماس ، وجداول في النجوم تعود الى عام ١٨٨٠ م . وتوفي البتاني عام ٣١٧هـ ٩٢٩م قرب مدينة سامراء في العراق .

موسى بن شاكر وأولاده

ظهر في عصر الخليفة المأمون ، وبرز في الهندسة ، وكذلك بنوه الثلاثة : أحمد ومحمد والحسن الذين نبغوا في الرياضيات والفلك والفلسفة والميكانيك . وأمرهم المأمون بقياس محيط الأرض شمال العراق وتعلم الأب موسى بن شاكر التنجيم وهيئة الأفلاك . كما وعمل أبناؤه بعد وفاة أبيهم في بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون ببغداد .

وبرز محمد بن موسى بن شاكر في علم الهندسة والحكمة والنجوم وسافر الى بلاد اليونان ليحصل على مخطوطات في الفلك ، وأشاد بقياساته الفلكية التي فاقت بطليموس العالم البيروني وصنع محمد بن موسى تقاويم لمواضيع الكواكب السيارة ، وكتاب في حركة

الفلك الأولى . أما أحمد فكان أعجوبة أبناء موسى بن شاكر، فقد إبتكر أموراً عجيبة وأشياء علمية ترجع فائدتها للبيت . فصنع أحمد بن موسى ساعة نحاسية . وقام باحتساب طلوع بعض الكواكب وهبوطها في الدوران النهاري أو السكنى . وأعجب الطبيب ابن ريان الطبري حيث زار مرصد سامراء فقال :

((في مرصد سامراء رأيت آلة بناها الأخوان محمد وأحمد أبناء موسى ، وهي ذات شكل دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطها ، وتديرها قوة مائية وكان كلما غاب نجمٌ في قبة السماء ظهرت صورته في الخط الأفقي من الآلة)) .

وينسب الى أحمد بن موسى بن شاكر كتاب : درجات في طبائع الكواكب السبعة وفي إهتمامه بعلم طبقات الجو (الرصد الجوي) . كما تعرف الى الأخوة الثلاثة أحمد ومحمد والحسن ، والطريقة المُستعملة في رسم الشكل الاهليليجي

البوزجاني

أبو الوفاء محمد بن يحيى بن إسماعيل البوزجاني ولد سنة (٣٢٧ هـ - ٩٣٩م) في بوزجان . ويُعد من أكبر علماء الرياضة عند العرب ، وله الفضل في تقدم المثلثات . إختارهُ شرف الدولة من بين نخبة من كبار علماء الفلك للعمل في المرصد الذي بناهُ في بُستان دار المملكة في مدينة بغداد .

- وألّف البوزجاني في علم الفلك كتابه الشهير (المجسطي) وهو دائرة معارف فلكية على نمط كتاب بطليموس ، وله : التربع الشامل ، ويضم

جداول فلكية . والكامل في حركات النجوم ، وفيه ثلاث مقالات في حركات النجوم وما تعرض لها .

ابن الشاطـــر

أبو الحسن علاء الدين علي الأنصاري إبن الشاطر . عمل طيلة حياته بوظيفة التوقيت ورئاسة مؤذني الجامع الأموي في دمشق . وكان بارعاً في الهندسة والحساب ، ولكنه سرعان ما اتجه الى علم الفلك فأبدع فيه ، وقدم نماذج فلكية في الأزياج بعد تدقيقها عن طريق المشاهدة والتجارب ومن مصنفاته :

- رسالة في الاسطرلاب ، وارجوزة في الكواكب ، وله الأشعة اللامعة في العمل بالآلة الجامعة، والزيج المعروف بزيج ابن الشاطر .

وأسهم في ترجمة نتاج علماء اليونان وتصحيح أخطائهم ونقلها الى العربية .

البيروني

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني: من علماء القرن الحادي عشر ، وأعظم عالم في التاريخ الاسلامي ، لأنّ يده لم تفارق القلم ولا عينه النظم ولا قلبه الفكر . وقد فضل البيروني الاشتغال بالفلك على سواه من العلوم الصرفة ، وكانت مسائل الجيودسيا وعلم الفلك التطبيقي من المواضيع الأساسية لكتابه : (تحديد الأماكن لتصحيح مسافات الساكن) ، تناول فيه تشريح الطرق لتحقيق عرض وطول الأماكن وتعيين المسافات بينها. ووضع البيروني موسوعته الفلكية : (القانون المسعودي) نسبة الى السلطان مسعود بن محمود الغزنوي الذي كان تحت رعايته ، ويتألف القانون من إحدى عشرة مقالة . ولم يترك موضوعاً فلكياً أو ما يتعلق بالفلك ، والتواريخ والتقاويم التي استعملتها الأمم المعروفة آنذاك إلاّ وشرحه ووضع الجداول له .

ومن كتبه الأخرى في علم الفلك : في الهيئة والنجوم والجغرافية ، والتفهيم لصناعة التنجيم ، واستيعاب الوجود الممكنة في صفة الإسطرلاب وجلاء الأذهان في زيج البتاني ، وله : في تحقيق منازل القمر ، وكتاب : التطبيق الى تحقيق حركة الشمس ، وفي امتحان الشمس ، وجدول التقويم ، والقسيّ الفلكية ، ودوائر السماوات في الإسطرلاب وغيرها . ■

الهوامش :

١- محمد رجب السامرائي ، علم الفلك عند العرب ، عبالقرة في الفلك
٢- د. حميد موراني ، تاريخ العلوم عند العرب
٣- د. علي عبد الله الدفاع ، أثر علماء العرب المسلمين في تطوير علم الفلك
٤- د . طه باقر ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية.
٥- عبد الحليم أحمد ملاعبة ، الإهتداء بالنجوم من علم الفلك عند المسلمين ، ص /٤
٦- د . علي حسن موسى ، تاريخ علم الفلك منذ أقدم العصور وحتى العصر الحاضر
٧- الزركلي ، الاعلام
٨- حسين أحمد حسين ، الدالة الأعظم في تاريخ الاسلام ، ص ١٣٩
٩- د . بافل بولفاكوف الأخبار في تاريخ علم الفلك . محاضرات مؤتمر الصوفي وابن الشيبس . . . ص / ١٧٢ - ١٧٣ وانظر ١٠- د . محمد عبد الرحمن مرحبا : مرجع سابق ، ص / ٣٠٠
١٠- ابن خلدون المقدمة ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان
١١ - د . رشيد عبد الرزاق الصالحي دراسات في الفلك عند العرب
١٢ - عبد الحليم أحمد ملاعبة ، الإهتداء بالنجوم من علم الفلك عند الأولى
١٣ - د. محمد الصادق عفيفي تطور الفكر العلمي عند المسلمين
١٤- د. محمد عبد الرحمن مرحباً : الجامع في تاريخ العلوم عند العرب
١٥ - هاشم الخطيب الأوائل في الإسلام

نظرة أولية في مقوّمات الفن الإسلامي

لا مراءَ في أنّ أيّ دعوة لقيام فن اسلامي معاصر ، لا بُدّ أن يسبقها بحث في مقوّمات التّصور الاسلامي الذي يصدر عنه هذا الفن ، ذلك ان الفن المُراد ليس آخر الأمر إلا إنعكاساً إما لواقعٍ أو تصوّر اسلامي ، ولا مندوحة في كلا الحالين من معرفة الأسس والركائز التي يقوم عليها هذا الواقع أو ذلك التصور . والذين يعودون بنا القهقري الى صدر الاسلام بصفة كونه مثالاً للواقع الاسلامي يحققون شرطاً ضرورياً من شروط البحث ، بيد ان الاكتفاء بذلك دون استدارة نحو عصرنا الراهن يذهب بشق المعادلة التي نجهدُ في استيفاء أطرافها وتحقيقها على أكمل وجه . وهكذا فنحن أمام قضية لا تستبين جوانبها إلا بوزن الواقع الراهن بميزان الاسلام ، وبمقارنة الحال مع المثال ، وبث إرادة التغيير من أجل غد أكثر مطابقة لما جاء به نبي الرحمة ونزل به القرآن العظيم .

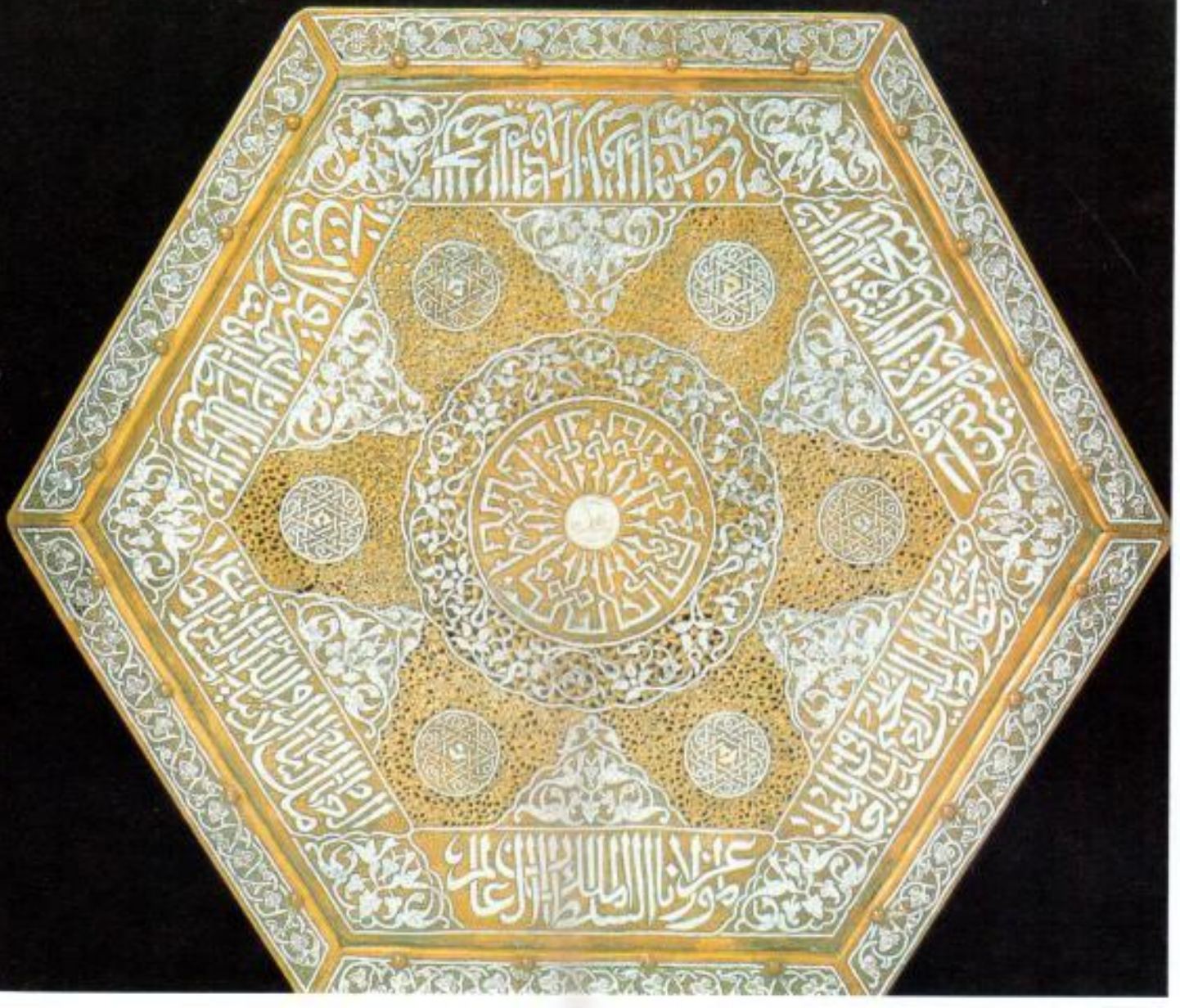

ولكي يتضح المنهج فيما نرمي اليه ، سوف نحاول استبعاد أكثر من سبيل ، مما قد يظهر لنا قصوره عن الوفاء بموضوعية البحث أو مدابرته لغاياته . من ذلك ما يذهب اليه بعضهم من أن الفن الاسلامي المطلوب هو الفن الذي يحملُ دعوة الإسلام الى العالمين على نحو ما هي عليه في كتب الفقهاء والمحدثين ، أو الذي يحمل أكبر قدر من المصطلحات والمعاني الاسلامية . وفي ذلك ما فيه من فهم مغلوط لطبيعة الفن ، ومن خلط بينه وبين الفكر الخالص ، وبين ما يقوم أحدهما به وما يمكن أن ينطوي الآخر عليه.

ومنه أيضاً ما أراد اليه بعض الأدباء حين قدموا التاريخ الاسلامي في قالب القصة أو الشعر أو المسرح ، واستفادوا من زخم أحداثه بطريقة درامية اقتضتها الظروف الراهنة أكثر مما أوحت به حوادث التاريخ نفسه . وقد حملت هذه الطريقة بعضهم على ليّ أعناق الحقائق لتوائم البُنيات الدرامية التي أنشأوها ، ولتأخذ حجم مقولاتهم المذهبية التي استنطقوا التاريخ بعضها قسراً ، وخوّلوا أنفسهم حق الحديث عنه بها .

ومنه ما اقتصر على البشر بالفجر الجديد للأمة المسلمة ، وعلى ما يراد من خير للعالم حين تقوده وتمسك بزمامه ، وهو ما قد نسميه بأدب البشارة أو أدب الإرهاص . وليس استبعادنا لهذا كله مفضياً بالضرورة الى إنكاره أو النعي على منتهجيه . بل هو وضع للأمور في نصابها ، بحث يمكن لنا التفرقة بين محكم الأمر ومتشابهه ، وبين الجوهر والعرض فيه ، وبين العناصر التي تأتي وكأنها تحصيلُ الحاصل .

وقد دفعنا الى ذلك أنّ هذه السُبل قد تشابهت وأضلّت كثيراً من الدارسين فيما يمكن أن يستقر عليه الرأي في شأن مقومات الفن الاسلامي المطلوب . ومن أجل هذا قلنا في صدر الكلام أنه يحسن بالباحث ان يُلقي الضوء أولاً على مقومات التصوّر الاسلامي ، لأنها هي مقوّمات الفن الاسلامي .

ولقد قام المرحوم الاستاذ (سيد قُطب) بأول محاولة له فيما نعلم للتحديد ، خصائص التصور الاسلامي ومقوّماته» ، وذلك في كتابه المعروف بهذا الاسم ، والذي بسط فيه فكرة الاسلام عن الله والانسان والكون والحياة ، وحدد سبع خصائص للتصور الاسلامي هي :

الربّانية ، الثبات ، الشمول ، التوازن ، الايجابية ، الواقعية والتوحيد .

كما قام الاستاذ محمد قُطب بأول محاولة للصدور عن هذا التصور في تلّمس منهج فني متميز وذلك في كتابه (منهج الفن الاسلامي) . ولا أعلم أحداً تعمق هذه القضية أكثر من هذين الكاتبين الكبيرين .

ونحن هنا إذ ننظر الى البحثين السابقين بكل تجلّه وتقدير ، لا نملكُ إلا أن ننظر الى الموضوع من زاوية مختلفة ولا نقول كثيراً ، وهي رؤيا ربما آلت بنا الى فهم جديد للتصور المنشود .

اننا ومهما ذهبنا في فلسفة العقائد الإيمانية في الاسلام ، فإننا لن نخرج بها بحال من الأحوال عن مدار (أسماء الله الحسنى) ، إذ انها هي المنارات العليا في التصور الاسلامي ، وكل قبس منها أو تمثل لها أو إقتراب منها هو ضرب من اللصوق الحميم بقدس أقداس الإسلام . كما أن ما ينضوي تحتها من قيم ومعايير هو في الحقيقة ما يميز نظرة المسلم الى الوجود من غيرها ، فتحت كل اسم من هذه الأسماء الحسنى تندرج قائمة مضيئة من الصفات والموازين ، تُلهم المسلم الوانا من التفكير وانماطاً من الشعور بالجمال والكمال والجلال .

وتحت ظلال هذه الأسماء المعظمة وفي افيائها ، يتمثل المؤمنون منظومة من القيم الجمالية كل على قدر ما يتحصّل لديه وما يسعه وجدانه منها . آية ذلك ان لكل اسم من هذه الأسماء قوّة ايحائية كبيرة ، تتبين في ضيائها طوائف من الصفات المتدرجة في السمو والتي تُعرّج صُعُداً في شوق دائم للمثل الأعلى .

فالرحمن والرحيم والملك والقدوس والسلام والمؤمن والمهيمن والعزيز والجبار والمتكبر والغفور والودود وغيرها من الأسماء الحسنى هي فيما نرى من المقومات الرئيسية للتصور الاسلامي ، وعن ما توحيه وتوجبه وتبعثه بصدر المؤمنون في كل خلجة من خلجات نفوسهم ، وكل نبضة فكر ورفة وجدان لديهم ، وهي وراء البحث الدائب عن الجمال في النفوس وفي الآفاق ، وهي آخر المطاف ما يجعل أدابهم وفنونهم لغة حياتهم وشرائعهم متميزة عن غيرها .

ان كل فن يحقق ، أو يدعو الى ، أو يستوحي شيئاً من كمال وجمال وحقيقة أي اسم من هذه الأسماء هو فن اسلامي ، وفي هذا الاطار الرحب المتسع الأماد يتحرك الفنان المسلم وتمتد آفاقه الفسيحة ولما كان الاسلام دين الفطرة والجبلة المبرأة الشقية ، فان أي نفس يبلغ بها صفاء الفطرة درجة تهيئها لتلقي فيوض هذه الأسماء ، تكون قادرة إذا كانت صناعاً – على الإيتاء بفن ذي طابع اسلامي ولو كان صاحبها غير مسلم . وقد التفت الى ذلك الاستاذ محمد قطب في كتابه (منهج الفن الاسلامي) حين أورد نماذج عديدة للأدب الاسلامي – كما يراه – من إبداع أدباء غير مسلمين ، وذلك لتحقق شروط التصور الاسلامي فيها .

ويتضح مما سبق أن الفن الاسلامي ذو أبعاد قد لا تكون في الحسبان أول الأمر ، حتى إذا مضينا في البحث تكشف لنا فن إنساني رفيع ، فيه كل خصائص الانسانية المستخلفة في الأرض ، وكل شوقها الى المطلق واللانهائي ، وكل نزوعها الى الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء.

الفن في الجزيرة العربية قبل الاسلام

هناك اعتقاد سائد بين النّاس أنّ العرب قبل الاسلام كانوا لا يقرأون ولا يكتبون ، ولم يكن لهم اهتمام بالفنون المعروفة آنذاك لدى الأمم المعاصرة لهم ، وقد ساعد على إنشاء هذا الاعتقاد اطلاق لفظ (الجاهلية) على المرحلة التي سبقت الاسلام . وبالتدقيق في النصوص التي وردت الينا عن تلك المرحلة نجد أنّ المقصود بالجاهلية هو السّفه والحُمق والغلظة والطّيش والغرور ، مما يدل على أن معنى (الجاهلية) ينصرفُ الى الصّفات الخُلقية والنفسية ، يؤيد هذه الألفاظ الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف بوصف التصرفات والأفعال بالجاهلية كما يستندُ هذا الرأي قول أحد شعرائهم :

ألا لا يجهلنّ أحدٌ علينا فنجهلُ فوق جهل الجاهلينا

كذلك فان معاني الأمية ، والأميين الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف كوصف للعرب قبل الاسلام هي انه لم يكن كتاب كالنصارى واليهود ، ولا يقصد بهذه الالفاظ جهلهم بالقراءة والكتابة إذ ورد ذكر للكتابة والخط وأدواته في شعر عدد من الشعراء فقال المرقش :

الدّار وحشٌ الرسوم كما
رقّشَ في ظهر الأديم قلم

وقال عدي بن زيد العبادي :

ما تبين العين من أياتها
غير نؤي مثل خطّ بالقلم

ولا يعني هذا بالطبع انتشار التعليم والمدارس ، وانما يعني ان القوم لم يكونوا بعيدين عن القراءة والكتابة وخاصة منهم السّكان المستقرون . ولما كان الفن تعبيراً عن الأحاسيس والمشاعر الانسانية وهذه لا علاقة لها بانتشار التعليم أو ندرته ، فقد عبّر الانسان أينما وجد وعلى مدى العصور عن أحاسيسه ومشاعره بمختلف وسائل التعبير من موسيقى ورسم ونحت حسب الامكانات والخامات المتاحة والمتوفرة لديه

والانسان العربي قبل الاسلام كغيره من بني البشر حاول التعبير عما يجول في نفسه بالرغم من أن صور ذلك التعبير لم تبلغ مرتبة فنية عالية إذا قيست بما خلّفه اليونان والرومان في عهود ما قبل الميلاد .

وقد قام علماء الآثار بدراسات للمواقع التي كانت مأهولة في الجزيرة العربية قبل الاسلام والتي كانت مراكز لدويلات ذلك العصر ودوّنوا ملاحظاتهم عن عدد من التماثيل والصور المنحوتة على الحجارة والقصور والأضرحة والمعابد ، ولعل قلّة المادة المكتشفة لا تمكن الدارس من تكوين صورة متكاملة عن الفن في تلك الفترة ، ويرجع السبب في ذلك الى أن بعض التماثيل حُطّمت وأتلفت لدوافع دينية ولعلاقة تلك التماثيل بالوثنية ، بينما استخدم بعضها في أغراض البناء . أما التماثيل الصغيرة التي ظلّت مطمورة تحت التراب حتى أيامنا هذه واكتشفت مؤخراً فانها تكشف لنا عن معلومات ذات فائدة من الناحية الفنية ومن الناحية التاريخية حيثُ عرّفتنا على بعض العادات والتقاليد في تلك الأيام ، وذلك كبعض التماثيل التي تصوّر امرأة وتبيّن الحلي التي كانت تزيّن بها عنقها أو يديها ، كما يعرفنا البعض الآخر على ملابس الرجل والمرأة في تلك الأوقات .

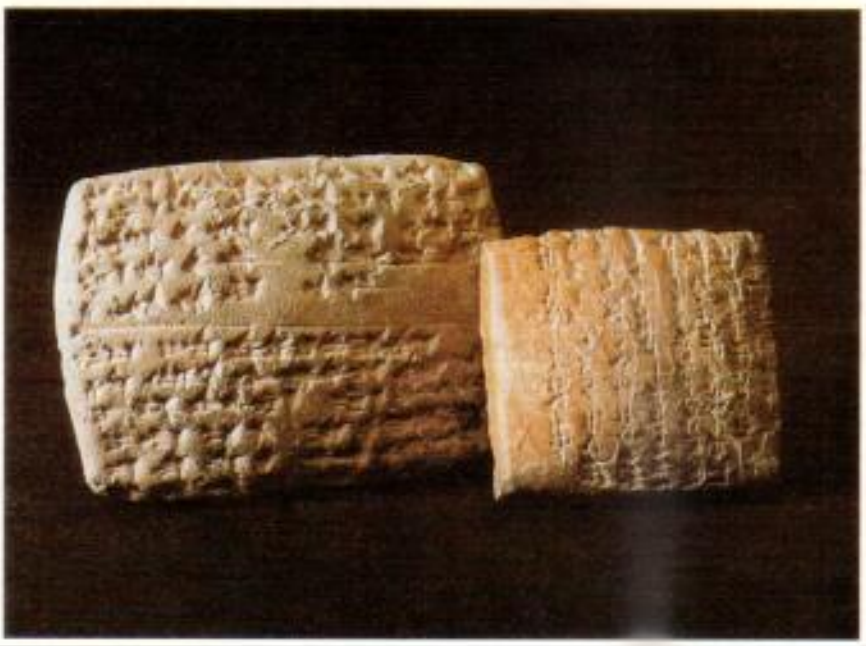

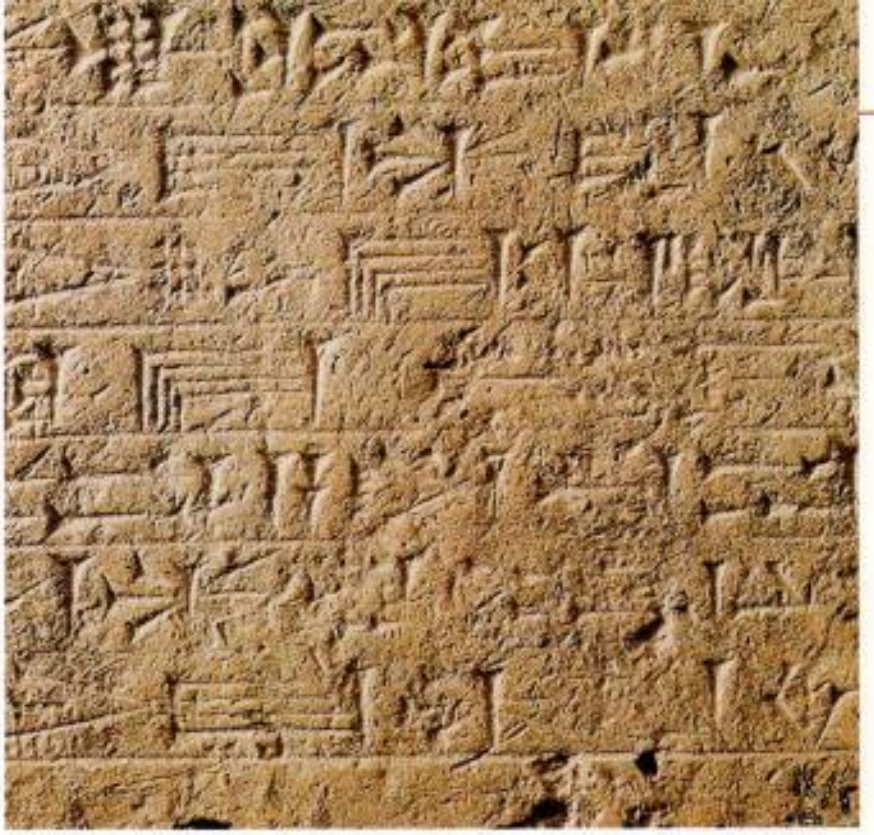

ومما يُؤخذ على تلك التماثيل من الناحية الفنية والتقنية أنها لم تبلغ درجة الإتقان التي بلغتها تماثيل اليونان المكتشفة في جزيرة (فيلكا) على الساحل الكويتي ، فالفنان اليوناني تميز بقدرة فائقة على ابراز ملامح الجسد وضبط النسب بين الأعضاء ، بعكس التماثيل العربية ، إذ نرى في تمثال رجل من جنوب الجزيرة مثلاً أن النحات حفر عينيه حفراً وكأنهما (مقلوعتان) ، ونرى الفم صغيراً مفتوحاً .

أمّا الجبين فأملس وكذلك الوجنتان . وقد حفر عرب الجنوب على الحجارة والمعادن والخشب بطريقة الرسم المحفور ، والحفر البارز ، إذ يُخطط الشكل الذي يراد رسمه ثم يُحفر ما حوله من سطح المادة التي رسمت عليه فتظهر الصورة بارزة عن السطح ، واكتشفت عدّة تماثيل لحيوانات نحتت من المرمر كما عُثر على تماثيل ثيران في خرائب مأرب .

وهناك صعوبات فنية واجهت فنان ذلك العصر فلم يستطع التعبير عن الحركات بشكل جيد ، ولم يُميّز بين القريب والبعيد في الصورة ، لذا فقد أجاد في حفر الأزهار وعناقيد العنب أكثر من تصوير الانسان والحيوان .

وقد استعمل عرب الجنوب الكروم كثيراً للزخرفة فهي محبوبة لديهم إذ تدرّ عليهم دخلاً وتعطيهم النبيذ والخمور ، فحفروا صوره حول صورالاحياء ، وكبسوا صوره في الجبس لتزيين الجدران والأبواب كما وضعوا صوراً ذات نقوش على الواح الأبواب إما للزينة أو لدفع الشرّ والارواح أو للتبرك ، ولعل ما يفعله بعض الناس في هذه الأيام له أصل ترجع الى تلك الأزمنة الغابرة

ولم يقتصر استعمالهم للحجارة على نحتها تماثيل ، بل اتخذوا منها أثاثاً كالأسرّة وصناديق الأمتعة وقد حفروا عليها رسوماً تمثل أزهاراً وأشجاراً ، كما اتخذوا منها مذابح ليذبحوا عليها القرابين، وقد عثر على نماذج منها محفور عليها رموز لها علاقة بالعبادة والآلهة .

وهي التي سمّاها القرآن (النصب) وحرم أكل ما يذبح عليها .

ولعله مما يُفيدُ في اعطاء فكرة أوسع عن الفن الجاهلي أن نشير للمباخر والمجامر المصنوعة من المرمر والمعادن وقد نُقش على بعضها اسم (الطّيبْ) الذي يستعمل فيها ، اسم صاحبها والمعبد أو الآلهة التي خصصت له . وفي مجال التصوير فقد وجدت رسوم بشر وحيوانات ونباتات نقشها الجاهليون على الصخور والحجارة يرمز بعض منها الى أمور دينية .

ويعبّر بعض منها عن مواهب فنية وميول فطرية للفن كان بالامكان أن تأتي بالبديع لو لقيت الاهتمام والتقدير ، وكان أهل الجاهلية يتقربون الى الصور ويزينون بها البيوت والنسيج. والأخبار عن فتح مكة تذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما دخل الكعبة وجد تمثالاً لحمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها جانباً ، كما وجد صوراً للملائكة والأنبياء ، فأمر بطمسها .

تأثير الفنون الأجنبية في الفن العربي

من دراسة الآثار المكتشفة يتبين لنا آثارا هندية وفارسية ويونانية وفرعونية ، من ذلك تمثال رجل صُنع من نحاس لا يشبه وجهه وجه العربي بل هو أقربُ ما يكون الى وجه (بوذا) بالرغم من الخنجر الظاهر على خصره كما هي عادة اليمنيين الى اليوم

وكذلك تمثال مصنوع من البرونز يصوّر امرأة وهي ترقص وقد لبست فستاناً طويلاً وتحته سروال كالزّي الفارسي . وربما كان السّبب في وجود تلك المؤثرات الخارجية هو الصلات التجارية بين بلاد اليمن والشعوب الأخرى والرقيق المجلوب من بلاد مختلفة فيأتي كل منهم متأثراً بفن بلاده الأصلية - فكان التنوع المذكور ولعل ما يجدُ من اكتشافات أثرية في المستقبل يُظهر أشياء كانت خافية عنا حتى الآن .

العرضة والرزفة وسباقات الهجن

أبرز مظاهر الاحتفالات في الماضي

■ كانت العرضة والرزفة وسباقات الهجن مع اطلاق النار أبرز مظاهر الاحتفالات في الماضي والآن بحمد الله مع تغير الزمن، تغيرت الأساليب وأصبحت تشمل الكثير من المظاهر، إلا أن العرضة الرزفة ما زالتا هما عبق تراثنا الخالد، تعيشان في وجداننا ولم نتخل عنهما لأنهما من صميم حياتنا وعنوانها.

في الأعراس غالباً، والأعياد أحياناً، كان الناس يتوجون احتفالاتهم بالعرضة، وسباقات الهجن والرزفة، ففي الأعراس كان العريس يحدد شارة يتسابق من أجلها المهنئون والأقارب الذين جاؤوا يشاركونه فرحته، والشارة كانت من واقع الحال، لا تتعدى في الغالب غترة أو كندورة، وهي أشياء وان كانت بسيطة في وقتنا الحاضر، إلا أنها كانت في الماضي لها قيمة ومعنى، فلم تكن الحياة ميسرة بهذا الشكل، والغترة والكندورة لهما قيمتهما المادية، إضافة الى التسابق على الفوز المعنوي لمقال أن فلاناً في عرس فلان حصل الشارة ويستاهل الناموس، أي الجائزة.

والعرضة عبارةعن استعراض تسير فيه الهجن متجاورة، كل أثنين بجوار بعضهما وعليهما الركبي، وقد تكون هناك صفوف طويلة من الهجن، وكل ركبي يضع يده في يد جاره، أو يلوحان بالغترة، أو يستعرضان مهارتيهما في الوقوف على ظهر الهجن وهي تركض، وأحياناً تكون يداهما متشابكتين، وقد

يحدث ذلك على ظهر الأحصنة ليظهرا فروسيتيهما ومهارتيهما ، ولم تكن للعرضة جوائز وإنما هي مشاركة وتعبير عن الفرحة في الأعراس ، وإظهار للمهارة .

وأحياناً كانت تقام سباقات الهجن على شارة العريس ، والشارة كما ذكرنا من قبل مجرد هدية بسيطة يفوز بها المتسابق ، وبالطبع لم تكن هناك شروط مثل الشروط الحالية لسباقات الهجن ، والمسافة كانت محدودة ، وفي السيح ، فلم تكن هناك حدود ولا مضمار ، والركض كان لجميع أعمار الهجن وأنواعها بلا تحديد ، وكان أقارب وأصدقاء ومعارف العريس على مختلف أعمارهم وأوزانهم يشاركون في ((المركاض)) وكان الجميع يهنئون الفائز قائلين : تستاهل الناموس ، أي الشارة والفوز.

وكانت السباقات والعرضة في بعض الأحيان من سمات الاحتفالات في عيدي الفطر والأضحى ، وكانت الرزفة هي المظهر الغالب حيث كانت توكل للرجل الموثوق في صدقه مهمة الصعود الى قمة مكان مرتفع لاستطلاع هلال شوال في آخر ليلة من شهر رمضان ، وفي تلك الليلة يضع بعض الرجال والنساء الحناء على أياديهم وأقدامهم ، وهي من الحناء الطبيعية التي يصنعونها من نباتات موجودة في مزارعهم ، وتكون الحناء حتى (الجوزة) على الأرجل وحتى الرسغين على الأيدي بالنسبة للرجال ، وكامل القدم للنساء ، ولم تكن هناك نقوش ورسومات مثل الموجودة هذه الأيام ، ومنهم من لا يضع الحناء في هذه المناسبة ، وتكون النساء قد عدلن ورتبن بيوتهن ، ووضعن من سعف النخيل الأخضر على مداخل البيت ، وبعلقن بعضا من الزهور الجبلية على الأبواب فرحة بالعيد .

وعندما يعلن المستطلع دخول شهر شوال ، يصلي الناس العيد في مكان مكشوف ، ويعودون الى بيوتهم بالرزفة وإطلاق الأعيرة النارية فرحا بالعيد ، ثم يمرون على بيوت المنطقة يسلمون على أهلها للتهنئة ، وبعدها يتجمعون في بيت شيخ القبيلة حيث الفوالة من الخبز المخلوط بالبيض المحلى ، والهريس بالسمن البلدي ، والفندال والتمر ، وبعض الناس يأتون بالعسل المتوفر ، وبعد تناول القهوة يذهبون الى الحاكم ليقدموا له التهنئة بالعيد ، وبعد عودتهم من هناك يذبح كل منهم أو القادر ذبيحته ويجهزون العيش واللحم ويتجمعون في بيت واحد وكل منهم يأتي بما عنده ، وبعد الغداء يذهب بعضهم للسلام على أرحامهم الذين يسكنون خارج المنطقة .

ولا تختلف هذه المظاهر كثيرا بين القرى والمدن ، ولا بين قرى الجبال أو البدو ، وقرى أهل الزراعة . ■

التراث الشعبي عند العرب

■ محمّد رجب السامّرائي

تحدثنا في الحلقة الاولى عن اختلاف الباحثين في تحديد مصطلح (الفولكلور) ونشأته في اوربا، ثم المصطلح للتراث الشعبي في مفهومنا العربي بدلا من مصطلح- الفولكلور- لان دراسة الحياة الثقافية، تستهدف متابعة العوامل المشتركة في جميع مظاهر التراث الشعبي عند الناس ثم وقفنا عند تحديد معنى (شعبي) و(فولكلور) عند عدد من المهتمين مع بيان الاختلاف في استخداماته. وسنتحدث هنا عن مرحلة لاحقة من التراث الشعبي الا وهي مدى شمولية الفولكلور- التراث الشعبي- والغاية منه وبعض التعريفات والاختلافات في ذلك.

■ يشمل الفولكلور العربي - التراث الشعبي - مثل فولكلور الشعوب الأخرى جانبين الأول : الفنون القولية ، والثاني : الفنون الشعبية . ويتضمن الأول : اللغة التي هي قوام هذا الفن وهي على مستويات ثلاثة اصطنعتها الأمة العربية عبر أدوارها التاريخية لتعبر لنا عن ذاتها وهويتها ، ومن ثم لصياغة ثقافتها ، وهذه المستويات هي : اللغة العربية الفصحى المُعرّبة واللغة العربية المتوسطة بين الفصحى والعامية (لغة فصحى مكسرة أو لغة عامية مُحسنّة) واللغة العامية الدارجة في استعمالات الناس اليومية . أما الجانب الثاني الذي شمله الفولكلور ، فهو الواسطة التي نتعامل بها أمتنا العربية ، في مجالاتها الثقافية المختلفة .

إذا ما عرفنا أن الفولكلور - التراث الشعبي - على الرغم مما مرّ عليه من سنين - فما زال موضوع خلاف في تحديد تقسيماته مثلما تبين لنا سابقاً ، الذي يمثل حكمة الشعب وأدبه الذي يتعلمه ، ولكن على العكس منه فإن ((الأدب الشعبي)) هو الذي ينشأ في العادة من الأدبين الرسمي أو العامي ، ثم تؤهله خصائص ذاتية فيه لأن يتحول الى أدب شعبي .

ولأن ((الأدب الشعبي)) معروف عند الناس ويمس عادة الجوانب القومية التي تهم الشعب كله ، فقد عرّفوه بأنه ((الأدب الذي يتناول الموضوعات القومية التي تهم جميع أفراد الشعب ، ولكي يقنعوا أنفسهم بصحة تعريفهم أطلقوا عليه اسم ((الأدب الشعبي القومي)) .

لكن هل هذا التعريف شامل جامع للأدب الشعبي ؟ كلا . صحيح أنّ الأدب الشعبي يتناول ويهتم بالموضوعات القومية التي تخص أبناء الشعب كافة ، لكن هل يشمل كل الاتجاهات القومية ويعبر عنها أم أنه ينحرف لبعض الجوانب الأخرى نحو : الأخلاق والسلوك والتربية ؟ أجل فإن الأدب الشعبي العربي يمثل تلك العطاءات في القول والفن والفكر عند أبناء المجتمع الذين يتحدثون اللغة العربية ، ثم اننا لا نبحث - من خلال دراستنا عن الأدب الشعبي عند العرب - وإنما نبغي : (البحث عن المعطيات الفنية المترسبة عن ذاك الفكر لردها إلى أصولها ، وتبرز تلك المعطيات عن طريق الحكي ، وتظهر بنفس الصور التي تظهر بها المتبقيات الأسطورية القديمة التي ملأت فكر الشعب العربي في بدايته الأولى))

ولا مراء في الاختلاف الظاهر بين الأدب الفصيح والأدب الشعبي ، فالأول يحاول الفهم والإحاطة عند الشعب والتأثير ، بخلاف : ((الأدب الشعبي ، فإنه له النفوذ الطبيعي على كافة الطبقات ..))

وعلينا أن لا ننسى ما يقوم به الأدب الشعبي من وظائف عند الشعوب البدائية في جانب التعليم في تلك الأقوام السالفة ، فهو : ((جزء من المأثورات الشعبية ، وهو ليس الأدب العامي ، ويتسم بكل ما تتّسم به المأثورات الشعبية من العراقة ..))

فالأدب الشعبي علم له مناهجه وأهدافه ، وهذه تنعكس عنها في الوقت ذاته ، فلسفة وعقيدة العصر ، وعندما تختفي هذه الفلسفة فإن المبادىء الثقافية التي تبحث عنها هي الأخرى تجدها تضمحل وتزول ، ونرى الأدب الشعبي ذا جذر قديم ، فهو أقدم من الأدب الفصيح ، وقد غدا هذا الأدب : ((بفعل التقصير في التعليم والطبقية المستجدة ، وسكنى المدن والخضوع لقوانينها والتحضّر الذي طرأ على البيئة العربية بفعل ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الثروة القومية - كما يقال الآن - هو ((الأدب العامي الملحون)) وإن كان البدويّ منه أقرب من القروي الى صفاء التعبير وقلة الشوائب والحفاظ على التقاليد والسنن السابقة

هذا من وجهة النظر العربية ، أما ((الأدب الشعبي)) في الثقافة الأوروبية الغربية فنراه في كتاب الألماني، جون ماير ، (John Mayar) الموسوم بـ (الأدب الشعبي الألماني) . حيث ضمنه بأبوابه المتعددة ليشمل : ((القرية ، المباني ، المزارع، المزروعات ، الحرافات ، اللغة ، الأساطير ، الحكايات الشعبية ، الأغاني الشعبية ... ثم البيليوغرافيا)) .

ويمثل تقسيم الألماني ((ماير)) النمط الذي تسير عليه جميع دراسات الأدب الشعبي الغربي خاصة في المانيا وفرنسا ، وبدرجة أقل في انجلترا وأمريكا وهو أسلوب الكتابة المُتبع في

ميدان الصحافة عن مجالات الأدب الشعبي هناك

إن المعني ((بالأدب الشعبي)) عند الغربيين ، هو ثقافة ريف أحد الشعوب . ريف الأمة التي ينتمي اليها الباحث . وبهذا المفهوم تعد ثقافة شعب واحد موضوعاً لفرع من فروع المعرفة ألا وهو الأدب الشعبي ... أما ثقافة الشعوب الأخرى من خلال تلك النظرة ، وثقافة المجتمعات البدائية فيهتم بها فرع آخر من فروع المعرفة تطلق عليها أسماء متعددة مثل : «الانثروبولوجيا،الأثنوغرافيا، والاثنولوجيا » ، حيث يفتقر هذا المجال الى المصطلح العلمي الدقيق الذي يحدد ملامحه بصورة واضحة .

مثلما عرفنا تقسيم أنواع المواد الفولكلورية ، فإن ((الأدب الشعبي)) له تسميات متعددة عُرف بها ، فهو إما الأدب الشعبي أو الأدب الشفاهي Oral Literature، أو يعرف بالفن اللفظي Verbal Art ، أو الأدب التعبيري Expressive Literature فإن الميادين والتقسيمات قد تباينت في آراء الباحثين بصددها وتحديدها ، وعلى الرغم من ذلك الاختلاف يمكننا تحديد طبيعة موضوعات الأدب الشعبي بالنقاط التالية : (المثل اللغز ، النكتة ، النادرة ، الحكاية الشعبية ، الأسطورة ، السيرة التمثيلية التقليدية ، الأغنية ، الموال).

كذلك يشمل الأدب الشعبي علوماً شعبية ، وما يتضمنها من تعاويذ سحرية وتنجيم ووصفات علاجية ، إضافة الى معلومات تتصل بالحرف الشعبية . بمعنى أنه أدب الحياة والعمل ، وأدب المشاعر الإنسانية ، بحيث لا يمكن للإنسان أن يعيش في فراغ ، فهو يفكر، ويعمل ، ويفرح ، ويحزن ، ويستحسن ، ويستهجن ، وينقد ، ويسخر ويمدح . ولكن هذا الأدب لا يتضمن في ميادينه : الألعاب الجماعية ، أو الرقصات الشعبية لأنه ينسحب على كثير من الأشكال التي تستخدم الكلمة المنطوقة .

والأدب الشعبي متغير من جيل لآخر لاعتماده على الرواية والحفظ في انتقاله من جيل لآخر ، ولا ينال هذا الإنتقال من أصوله . لكن يطرأ ذلك من تتابع : ((الشكل الفني والمحتوى فيتلاءم المضموني مع متغيرات الحياة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية من جيل لجيل معتمداً على أصول ثابتة في فنونه المختلفة التي تنحصر في دوائر ثلاث : الأمثال الشعبية ،

والأغاني الشعبية ، والسيرة الشعبية

وما دام الأدب الشعبي يعبر عن آمال وتطلعات الشعب ، فنجده : (يحقق البقاء والانتشار وهو اللون الذي يكون أكثر ارتباطاً بأوضاع الشعب ... وأكثر قبولا لدى أفراد الشعب المتلقين له ، المشاركين فيه) ومن أهدافه أن يفسر للشعب : ((جانباً من جوانب الحياة ، ولهذا فإنها تعد جميعها من صنع العقلية المفسرة القادرة على استغلال اللغة في وظيفتيها وهما الخلق والتفسير))

أما من ناحية لغة ((الأدب الشعبي)) فيجب هنا التفريق بين لغة الأدب الرسمي - الذي يلتزم الفصحى كأداة للتعبير - وبين الأدب العامي - الشعبي - الذي - يلتزم اللهجة الدارجة كأداة للتعبير لكن لا يمكن بسهولة أن نميز اللغة التي يتخذها ((الأدب الشعبي)) لأنها بأي حال ليست هي اللهجة العامية الدارجة في مجتمع ما .

وهناك أمثلة قريبة المثال استخدمت اللهجات العامية إضافة لوجود اللغة الفصحى في بعض نماذجه المكتوبة وهذا موجود في كتاب : ((ألف ليلة وليلة)) وكتب السير الشعبية ، مثل : السيرة الهلالية ، وسيرة الأميرة ذات الهمة ، حيث ترد العبارة باللغة الفصيحة القريبة من العامية ، ونلحظ عدم التزام شعراء هذه السير على وجه الدقة بالوزن الشعري والقافية وتوظيف المفردات العامية داخل القصائد .

ويُعد هذا النوع من الأدب أدباً موجهاً الى مجمل طبقات الشعب ، فهو : ((أدب لا يمثل في فئة دون غيرها بمعنى أنه ليس أدباً نخبوياً ، بالنسبة إلى الشعب تعني مجموع أفراد الأمة بمختلف طوائفها وطبقاتها دون تمييز)) .

من خلال ذلك تحدد لنا لغة ((الأدب الشعبي)) وهي اللغة الفصحى المبسطة التي تكاد تقترب من اللهجة العامية في شكلها الظاهري ، ولكن هذا التقارب بينهما : ((تقارب كل عاميات اللغة بحيث تكاد تقنع كل لهجة أنها منها ، أو يمكنها في بساطة ويُسر أن تخضعها للكتابة دون أن تشعر بأنها قامت بعملية ترجمة واضحة)) .

وهكذا يتضح لنا أنّ ((الأدب الشعبي)) هو الذي يصدر عن أبناء الشعب بصورة عامة ليُعبر عن وجدانهم وطموحاتهم ،وآمالهم في الحياة ، ويتحلى فيه روح الشعب وشخصيته النابضة بالحياة ، مع أنه يعكس اتجاهات الشعب والمستوى الحضاري له .

أما ((التراث الشعبي)) فنراه قد اختلف في تحديد مصطلحه حاله حال الفولكلور و «الأدب الشعبي ».

وهناك من حدّد خصائص ما يسمى بالمجتمع الشعبي. فقد حصر ريد فيلد Reed Field هذا المجتمع بكونه مجتمعا صغيراً منعزلاً أي متجانس ، يؤلف بينه إحساس قوي للتضامن الجماعي ، كما يتصف ببساطة التكنولوجيا ، والنشاط الإنتاجي ، والاستغلال الإقتصادي المشترك ، والسلوك التقليدي المنمّط ، والأفعال التلقائية ، والعادات الشعبية ، والتنظيم القائم على علاقة القرابة ، والإيمان الخارق بالقوى

الخارقة للطبيعة ، في الوقت الذي نرى فيه عكس هذه الصفات في مجتمع المدينة المتحضر .

إذا كان ذلك تحديد المجتمع الشعبي عند ((فيلد)) فماذا تعني كلمة شعب في المصطلح السياسي ؟

تدل كلمة شعب في هذا المصطلح على : ((الأمة بمجموعة طبقاتها ، حيث أن الأساطير والحكايات الشعبية أو العامية - لا يختص بها عامة الناس - بل تحكيها الطبقة الخاصة ، ويتداولونها حتى ما كان شعبي المنشأ منها ، فإنه ينتقل إلى بيوتات الخاصة عن طريق الخدم والمربين والمرضعات اللواتي يتربى على أيديهن ويُرضعنهم ويلازمن أولاد الخاصة أكثر من أمهاتهم وآبائهم ...)) .

وكنتيجة حتمية للعلاقة المتبادلة بين أفراد الشعب والطبقة الخاصة ، فإن « التراث الشعبي » سينتقل بدوره بين جميع أفراد الشعب دون تمييز بين طبقة وأخرى ، من أجل أن يصبح مشاعاً لكافة الثقافات الإنسانية وطبقات الشعب المترفة منه والفقيرة معاً . وعلينا بادىء ذي بدء أن نرسم البدايات الأولى لمعرفة ((التراث الشعبي عند العرب)) ليكون تمهيداً وتوطئة . لقد عرّف العلماء ((التراث الشعبي)) بأنه : ((المواد الثقافية الخاصة بالشعب ، أي الثقافة العقلية والاجتماعية والمادية ، أو هو العناصر الثقافية التي خلقها الشعب)) أو هو بتعريف آخر : ((قوام الحياة الشعبية ، وهو الحصيلة الكاملة لثقافة الشعب على اختلاف أجيال بيئاته)) .

أما الغاية من دراسة ((التراث الشعبي)) ، فهي فهم الوظيفة الاجتماعية في حياة الأفراد . وهذا يعني أن التراث الذّر ليس مجرد دراسة للثقافة الروحية لشعب ما ، بل هو يمثل الالتصاق بكل الثقافات المادية لهذا الشعب . التي تمثل صدى لتقنيات ومهارات انتقلت عبر الأجيال بقوى التقاليد المحافظة والنزعات الفردية نفسها التي يخضع لها الفن اللفظي . ثم نجد ((التراث الشعبي)) هنا يشمل أيضاً كل : ((الموروث على مدى الأجيال من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة ... وطرق الاتصال بين الأفراد والجماعات الصغيرة ... والحفاظ على العلاقات الودية في المناسبات المختلفة ... والإحتفال بالمناسبات التي يبدو من طرائقها عدد كبير من معتقدات الشعب الدينية والروحية والتاريخية ...)) .

أما من حيث وجهة النظر العربية لمفهوم ((التراث الشعبي)) ، فقد تأخر البحث فيه وهو الذي استغرق مظاهر الحياة الشعبية سواء كانت قديمة أم حديثة أم ترنو صوب المستقبل ، من أجل إبقائها على الزمن ، لأنّ ((اللباس يتلف ، والأداة الموسيقية تتحلل ، والصناعات الخشبية والفخارية وما إليها تزول ، والكلام يبقى طرياً نديّاً لا يزيده من الزمن إلا حياة وقيمة ... إذ هو ثابت لا يحول : تتناقله الألسنة ، وتحفظه الصدور وتتسلمه الأسماع والأفهام ، بوصفه أمانة عزيزة ، وإرثاً نسري فيه أرواح الأجداد)) فالمحافظة على تلكم المظاهر الشعبية جزء من إحياء التراث الشعبي العربي على مر العصور لأنه يحافظ على هوية أمتنا العربية المعطاء في كل ألوان المعرفة الإنسانية . لكن ماذا عن استخدام مصطلح التراث الشعبي في الوقت الحاضر ؟ وقد أورد احد الدارسين هذا المصطلح وتتبعه في مظانه العربية ، ونشر المقال في إحدى الدوريات العربية . وإذا عدنا إلى المصنفات العربية القديمة نجدها قد وصفت الفئات الاجتماعية وطبقات المجتمع بمختلف عاداته وتقاليده في الأمصار الإسلامية ، وأبرز المؤلفون العرب في مصنفاتهم صفة الموسوعية التي أغنت مكتبتنا العربية بأنفس المصادر الموسوعية . ولكن هناك فرقاً بين نوعين من الموسوعات : الموسوعات العامة والموسوعات الخاصة فكلمة ((موسوعة)) اليوم ترجمة للكلمة الأجنبية ((إنسكلوبيديا)) Encyclopedia التي ترجمت أيضاً بدائرة المعارف أو بالمعلمة عن أحمد تيمور وروكس بن زائد العزيزي ويرى بعض المحققين أنّ أطلاق كلمة ((موسوعة)) أو دوائر المعارف على التأليف الموسوعية العربية هو بمثابة التجوز أو التشبيه . ■

يتبع

المصادر والمراجع

١- أحمد رشدي صالح
٢- أحمد علي مرسي
٣- حسين عبد الحميد أحمد رشوان
٤- حلمي بدير
٥- طاش كبرى زاده
٦- عبد اللطيف البرغوثي
٧- عبد الله بن خميس
٨- عبد الحميد يونس
٩- ريتشارد دوسون
١٠- روكس بن زائد العزيزي
١١- فاروق خورشيد
١٢- فلاديمير بروب
١٣- كامل مصطفى الشيبي
١٤- لطفي الخوري
١٥- محمود ذهني
١٦- محمد الجوهري
١٧- محمد الفونجي ويوسف زرده
١٨- نبيلة إبراهيم
١٩- وليم تومز

الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٧١ .
مقدمة في الفولكلور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨١ .
الفولكلور والفنون الشعبية عن منظور علم الاجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ١٩٩٣ .
أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث دار المعارف ، ط ١ القاهرة ١٩٨٦م .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، مراجعة وتحقيق : كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة - القاهرة (د.ت) .
بين التراث الرسمي والتراث الشعبي ، دار الكرمل للنشر ، عمّان ، ١٩٨٨ .
الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، مطابع الرياض ، ١٩٥٨م .
دفاع عن الفولكلور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
نظريات الفولكلور المعاصرة ، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي ، دار الكتب الجامعية ، ط ١ ، القاهرة ١٩٧٢م .
معلمة للتراث الأردني ، شركة المطابع النموذجية ، ط ١ عمّان ١٩٨١م .
عالم الأدب الشعبي العجيب ، دار الشروق ، بيروت ١٩٩١م .
طبيعة الأدب الشعبي ، ترجمة ابراهيم قنديل ، التراث الشعبي ، العدد الفصلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، خريف ١٩٨٩م .
الأدب الشعبي مفهومه وخصائصه ، التراث الشعبي ، ع ٣ دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٣ .
في علم التراث الشعبي ، الموسوعة الصغيرة (٤٠) وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٩م .
الأدب الشعبي العربي مفهومه ومضمونه ، دار الاتحاد ، القاهرة ١٩٧٢م .
دراسات في علم الفولكلور ، دار الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٢م .
الموسوعة العامة في العصر العباسي (جزء من رسالة ماجستير) جامعة تشرين السورية مجلة البعث ، ع ١٢ ، حمص ، حزيران ١٩٩٣ .
أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار نهضة مصر والقاهرة ، (د.ب)
فولكلور ، نقديه التي دندس ، ترجمة كاظم سعد الدين ، التراث الشعبي ، ع ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٧م

في معنى رمضان

كلمة رمضان لها في معاجم لغتنا العربية معان متعددة . ولبيان تلك المعاني الوافرة في دقائق اللغة نقف عند بعضها لتعريف القارىء الأكرم ما اشتملت عليه هذه الكلمة وغيرها من مدلولات:

فالرَمَضُ والرَمْضاء : شدة الحرّ . والرَمْضُ : حرّ الحجارة من شدة حرّ الشمس ، وقيل : هو الحرّ والرجوع عن المبادي الى المحاضر (من البادية الى الحضر) ، وأرض رمضة الحجارة .

والرَمْضُ : شدّة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رَمْضاءُ ورمض الإنسانُ رَمَضاً : مضى على الرَمضاء ، والأرض رَمِضَة . ورَمِضَ يومنا ، بالكسر ، يَرْمَضُ رَمَضاً : اشتدّ حرُّهُ . وأرمض الحرُّ القوم : إشتد عليهم .

كذلك فإنّ الرَمَضُ : مصدر قولك رمض الرجلُ يَرْمَضُ رَمَضاً إذا احترقت قدماه في شدة الحر ، يقول الشاعر :

فهُنّ مُعترضات ، والحصى رَمِضَةٌ ، والرّيحُ ساكنةٌ ، والظلُّ مُعتدلُ

ويقال في هذا المعنى : رَمِضَتْ قدمهُ من الرَمْضاء أي احترقت . ورمضت الغنم تَرْمَضُ رَمَضاً إذا رَعتْ في شدّة الحر فَحبِنَتْ رئاتُها واكبادُها وأصابها فيها قَرْحٌ

وفي الحديث : صلاة الأوّابين إذا رَمِضَتِ الفِصال ، وهي الصلاة التي سنها النبيُ مُحمّد (صلى الله عليه وسلم) ، في وقت الضحى عند ارتفاع النهار . ويقول الخليفة عُمر بن الخطاب - رضي الله عنه لراعي الشاة : عليك الظَلَفَ من الأرض لا تُرمِضْها ، والظَلَفُ من الأرض : المكان الغليظ الذي لا رمضاء فيه .

ويعني الرَمضيُ في اللغة - وهو من السحاب والمطر - : ما كان في آخر القيظ وأوّل الخريف ، فالسحاب رَمضيٌ والمطر رَمضيٌ ، وإنما سُميَ رمضيّا لأنّه يدرك سخونة الشمس وحرّها . والرَمْضُ : المطر يأتي قُبيل الخريف ويجد الأرض حارّة محترقة . والرَمضيّة : آخر المَيْر ، وذلك حين تحترق الأرض لأن أول المَيْر الرَبعيّة ثم الصَيْفية ثم الدَفيئة .

ورمضان : من أسماء الشهور معروف ، قال الشاعر :

جارية في رمضانَ الماضي ، تُقطّعُ الحديث بالإيماض

ويُجمعُ رمضان فعلى : رمضانات ورماضين وأرمضاءُ وأرْمِضةٌ وأرْمُضٌ . وكان مُجاهد يكره أن يُجمع رمضان ويقول: - بلغني أنّه اسم من أسماء الله عزّ وجل : قال ابن دريد: لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها فوافق رمضانُ أيام رَمض الحرّ وشدّته فسُمّيَ به ..

يقول الفرّاء : يقال هذا شهر رمضان ، وهما شهرا ربيع ، ولا يذكر الشهر مع سائر أسماء الشهور العربية . يقال : هذا شعبانُ قد أقبل .

وشهر رمضان مأخوذ من رَمَض الصائم يرمضُ إذا حرّ جوْفُه من شدّة العطش ، قال الله تعالى ((شهر رمضان الذي أنْزِل فيه القرآن ...)) وشاهد شَهْريْ ربيع قول أبي ذؤيب الهُذلي :

به أيلتْ شهْري ربيع كلَيْهما ، فقد مارَ فيها نسؤها واقترارها

(ونسْؤها : سمنها واقترارُها : شبعُها)

كذلك يقال في معنى رمضان : رمض النَصْل يَرْمِضه ويرمضُه رمضاً بمعنى حدّده . يقول ابن السكيت :

- الرَمْضُ مصدر رَمَضْتُ النصْل رَمْضاً إذا جعلته بين حجرين ثم دققْته ليرقّ وشفرة رميضٌ ونصل رميضٌ أي وقيعٌ وانشد ابن بري للوضّاح بن إسماعيل :

وإنْ شئت ، فاقْتُلْنا بمُوسى رميضة جميعاً ، فقَطّعْنا بها عُقَد العُرا

وكل حادٌ رميضٌ . ورمضتهُ أنا أرْمِضُهُ وأرْمِضه إذا جعلته بين حجرين أملسين ثم دققته ليرق . وفي الحديث الشريف : إذا مدحْت الرجل في وجهه فكأنّما أمْرَرْت على حلْقه مُوسى رميضاً ، قال شمر : الرميض الحديد الماضي ، فعيل بمعنى مفعول ، وقال:

وما رمضتْ عند الفُيون شفارُ

ويجيء الترْمُضُ بمعنى : صَيْدُ الظبي في وقت الهاجرة تتبعه حتى إذا تفسّخت قوائمه من شدّة الحر أخذته . والرَمضُ: حُرْقةُ الغيْظ . وقد أرْمضهُ الأمر ورمض له ، وقد أرْمضني هذا الأمرُ فرمِضْت ، قال رؤبة بن العجاج مُرتجزاً :

ومَن تشكّى فُعْلَة الإرماضِ

أو حُلّةً ، أعْركتُ بالإحْماضِ

قال أبو عمر بن العلاء : الإرماضُ كلُّ ما أوْجع . يقال : أرْمضني أي أوْجعني .

وارْتَمض الرجل من كذا أي اشتدّ عليه وأقْلقهُ ، وأنشد ابن بري :

إنّ أصَيْحاً مات من غير مرضْ،

ووُجِدَ في مرْمضه ، حيث ارتمض

عساقِلٌ وجباً فيها قضضْ

- أما ابن الأعرابي فيقول في قول ارتمض الرجل بمعنى : فَسَدَ بطنه ومعدته .

القصيدة التي قال عنها عمر بن الخطاب / شعرٌ لا يبليه الدهر ولا يفنيه العصر

معلقة زهير بن أبي سلمى

■ فضل النقيب

الشاعر : هو زهير بن ربيعة الملقب بأبي سُلمى من قبيلة مزينة من مضر وقد توفي قبيل البعثة النبوية بسنوات قليلة وابنه كعب هو صاحب قصيدة الاعتذار الشهير الموجهة للنبي (ص) والتي مطلعها :

بانَتْ سُعاد فقلبي اليوم متبولُ متيّم إثْرَها لم يُفْد مَكْبولُ

وكان الرسول قد أباح دمه ثم أهداه بردته الشريفة بعد قبوله اعتذاره الشعري .

وكان زهير يقيم وقومه في بلاد غطفان ، وكان أبوه شاعراً وأخته شاعرة وأبناه كعب وبجير شاعرين، وحفيده المضرب بن كعب بن زهير شاعراً وكان خال ابيه الذي لازمه وأخذ عنه الشعر واسمه بشامة بن الغدير شاعراً كما كان زوج أمه أوس بن حجر شاعرا كذلك وقد قيل إن الشعر لم يتصل في بيت من بيوت العرب كما اتصل في هذا البيت .

موقعه بين شعراء الجاهلية

وزهير من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وفضّله كثير ممن لهم معرفة بنقد الشعر على امرىء القيس والنابغة وأضرابهما (وقال أناس : هو أشعر العرب وعدّه عمر بن الخطاب أشعر الشعراء ((لأنه لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حواشيه ، ولا يمدح أحداً بغير مافيه ، وذكره الأصمعي فقال : كفاك في الشعراء أربعة : زهيرٌ اذا طرب والنابغة إذا رهب والأعشى اذا غضب وعنترة إذا كلب)) وقال آخرون : كان أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهيرٌ إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والاعشى اذا طرب .

ويقصدون من ذلك ان أجود شعر امرئ القيس كان في وصف الخيل والصيد ، وأجود شعر زهير كان في المدح ، وأجود شعر النابغة كان في الاعتذار ، وأجود شعر الأعشى كان في وصف اللهو .

وقد وفدت ابنة (هرم بن سنان) ممدوح زهير بن ابي سلمى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لها : ما الذي أعطا ابوك زهيراً حتى قابله بذلك المدح الذي سارت بذكره الركبان فقالت : أعطاه خيلا تنضى ، وإبلاً تتوى ، وثيابا تبلى ، ومالا يفنى . فقال عمر : لكن ما أعطاكم زهير لا يبليه الدهر ولا يفنيه العصر ، ويروي انها قالت : ما أعطى هرم زهيراً قد نُسي ، فقال : لكن ما أعطاكم زهير لا ينسى .

مناسبة المعلقة

كانت بلاد غطفان ساحة للعداء الشديد والحرب المستعرة بين قبيلتين من قبائلها هما : عبس وذبيان بسبب حرب داحس والغبراء الطاحنة التي استمرت ٤٠ عاماً والتي نشبت لخلاف على سباق بين فرسين سميت الحرب باسميهما ، ومن ابطال تلك الحرب وشعرائها عنترة بن شداد العبسي الذي اشار الى مرحل الحرب الأخيرة في العديد من قصائده .

وكان كثير من شعر زهير يدور حول السلم بين القبيلتين والدعوة اليه والإعجاب برجلين من رؤساء ذبيان هما : هرم بن سنان والحارث بن عوف واللذان سعيا في الصلح بين عبس وذبيان واحتملا ديات القتلى وكانت ثلاثة آلاف بعير .

أمّا السبب المباشر فمرده الى قيام الحصين بن ضمضم المري بقتل رجل من بني عبس مما كاد ان يفسد الصلح. وقصة ذلك أن ورد بن حابس العبسي قتل هرم بن ضمضم المري فحلف أخوه حصين الا يغسل رأسه حتى يأخذ بثأر أخيه بقتل ورد أو رجل من بني عبس فرع بني غالب ، ولم يطلع على نيته هذه احداً حتى نزل به رجل من عبس فاستنسبه حتى وجده من بني غالب فقتله وبلغ ذلك بني عبس فركبوا للحرب فلما سمع الحارث بن عوف بذلك بعث اليهم بمئة من الإبل ومعها ابنه وخيّرهم فيما يردون ، فقال لهم الربيع بن زياد: إن اخاكم قد أرسل اليكم : الإبل احب اليكم أم ابني تقتلونه مكان قتيلكم ، فقالوا : نأخذ الأبل ونصالح قومنا وتم الصلح.

أسلوب زهير الشعري

يتميز اسلوب زهير بن ابي سُلمى الشعري بحساسية فائقة للصياغات الفنية فمن جهة : هناك ذلك الخيال المرهف في وصف البيئة وآثار الزمن عليها وما تثيره من أشجان وذكريات وصور وانعكاس ذلك على نفس الشاعر وما اختزنته ذاكرته من أحداث الزمن وتقلبات الأيام ورحيل الأحباب ويتضح ذلك جلياً في المقدمة ((الطللية للمعلقة القائلة)) :

أمِنْ أمِ أوفى دمنة لم تكلّم بحَوْمانة الدرّاج فالمتثلّم
ودارٌ لها بالرقمتين كأنها مراجيعُ وشم في نواشر معصم
بها العينُ والآرامُ يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضْن من كل مجثم
وقفتُ بها من بعد عشرين حجّة فلأياً عرفتُ الدّار بعد توهُّم
فلمّا عرفت الدّار قلتُ لربعها ألا أنعم صباحاً أيها الربْع واسلم

زمن أم أوفـــى

وام أوفى هي زوجة الشاعر التي يغلب على الظن انها كانت متوفاة انذاك فقد كتب زهير قصيدته وهو في الثمانين من العمر ، وهكذا فان ((الدمنة)) وهي بقايا اثار السكان التي تعقبها سوافي الرياح ثم تكشفها الامطار والسيول قد ذكرت الشاعر تلك العشرة القديمة وذلك الزمن الجميل في حومانة الدراج والمتثلم والرقمتين والتي تبدو الان مثل وشم انطمس على الجلد ثم اعيد تجديده ، وعلى الرغم من ذلك فان المكان قد خلا من الناس واصبح مرتعاً لبقر الوحش (العين) وللظباء الخالصة البياض ((الآرام)) ولا طلاتها الصغيرة اللواتي ينهضن من كل مجثم وقد احسسن بحركة الشاعر فهن يمشين (خلفة) اي في اتجاهات متعددة ، والشاعر الذي لا يريد بهن شرا مشغول بتفحص بقايا الاثار والتأكد من انها ديار (ام أوفى) فقد مضت عليه عشرون سنة منذ أن راها آخر مرة وها هو قد زايله الشك وتمكن منه اليقين فلا يزيد على تحيته بالقول : الا أنعم صباحاً ايها الربع واسلم ، وما اجملها من تحية وما أرقه من وداع .

زهير وطـه حسين

وفي شعر زهير تلك الأناقة اللغوية المهذبة المصنوعة بذكاء وحرفية عالية وفي ذلك يقول الدكتور طه حسين في ((حديث الاربعاء)) : ويصف زهير وصفا بريئا في كل تكلف ، حرا من كل قيد ، يظهر عليه من السذاجة ما يخيل اليك أن صاحبه لم يتكلف فيه عناء ، ولم يحتمل فيه جهدا ، ولم ينفق فيه وقتا ، ولكن إحذر ان تنخدع ، فلم يكن زهير من هؤلاء الشعراء الذين يقولون في غير تكلف ولا عناء ، انما كان صاحب فن وتجويد ، وهو صاحب الحوليات فيما يقول الرواة ، وإنما آية البراعة الصحيحة في الفن ، ان تتكلف الجهد وتحتمل العناء ، ثم تخدع الناس عن ذلك ، فتخيل اليهم أنك قد انشأت ما أنشأت كأنه جاء عفو الخاطر .

ويقول ابن سلام في ((طبقات الشعراء)) مشيراً الى شعراء الجاهلية ، كان زهير أحكمهم شعرا ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح .

شرح وتحليل المعلقة

سبق أن أشرنا الى مطلع القصيدة حيث الوقوف على الأطلال الدارسة التي ذكّرت الشاعر بأم أوفى ، ومن موقعه ذاك وموقفه النفسي يتذكر الشاعر يوم الرحيل كأنه يراه رأي العين رغم أن حقباً قد مرت عليه فيخاطب رفيقه قائلاً :

تَبَصَّرْ خَلِيلِيَّ هل تَرى مِن ضَعائِنٍ ... تَحمَّلْنَ بالعلياء من فوق جُرثُم
عَلَوْنَ بِأنماطٍ عِتاقٍ وكِلَّةٍ ... وَرادٍ حَواشِيها مُشاكِلَةُ الدَّمِ
وَوُرِّكْنَ في السُّوبانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ ... عَلَيهِنَّ دلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ
وفيهِنَّ مَلهى لِلصَّدِيقِ ومَنظَرٌ ... أنِيقٌ لِعَينِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

(والضعائن هن النساء المرتحلات على الابل اما العلياء وجرثم والسوبان فهي أسماء مواضع أو مياه ... انه يرى النساء الحبيبات من الأهل وقد علون الابل على مفارش أطرافها بلون الورد يسترهن ساتر شفاف ((كله)) وتبدو عليهن آثار النعمة تلك التي تسر الصديق ((الزوج)) وتشبع جمال الوجود بالحيوية التي تأنس اليها العيون وهكذا يواصلن المسير والشاعر يتابعهن بالذاكرة بعد أن تابعهن في الواقع حتى يخيّمن بعد مرحلة من السير :

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُه ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

طه حسين : إحذر ان تنخدع فلم يكن زهير من هؤلاء الشعراء الذين يقولون في غير تكلف ولا عناء ، إنما كان صاحب فن وتجويد وهو صاحب الحوليات وإنما آية البراعة الصحيحة في الفن أن تتكلف الجهد وتحتمل العناء ثم تخدع الناس عن ذلك فتخيّل اليهم انك قد انشأت ما أنشأت كأنه جاء عفو الخاطر .

ولا ينسى الشاعر وقد استعاد حيوية النساء وهن يردن الى مستقر المياه ((زرقا جمامة)) اي نقيا ماؤه الغزيرة لا ينسى أن يذكرنا أنه يحلم بالعودة الى ذلك الزمن الذي لم يبق منه سوى ما في الذاكرة وما يخلده الشعر فيقول

تُذَكِّرُنِي الأَحْلامُ لَيلى ومن تَطُفْ ... عليه خَيالاتُ الأحِبَّةِ يَحْلُمِ

الإشادة بالعمل العظيـــم

لذلك فانه سرعان ما يتخلص ويخرج سريعا الى غرضه الحقيقي وهو الاشاده بالعمل العظيم الذي نهض به هرم بن سنان والحارث بن عوف الممدوحين اللذين ينتسبان الى (غيظ ابن مرة)) وهو حي من غطفان فيقول :

سَعى ساعِياً غَيظَ ابنِ مُرَّةَ بَعدَما ... تَبَزَّلَ ما بين العَشيرةِ بالدَّمِ
فَأقسَمتُ بالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ ... رِجالٌ بَنَوهُ من قُرَيشٍ وجُرهُمِ
يَمينا لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدتُما ... على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبرمِ
تَدارَكْتُما عَبساً وذُبيانَ بَعدَما ... تَفانَوا ودَقُّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشَمِ
وقد قُلتُما إنْ نُدرِكِ السِّلمَ واسِعاً ... بِمالٍ ومَعروفٍ من الأمرِ نَسْلَمِ
فَأصبَحتُما مِنها على خَيرِ مَوطِنٍ ... بَعيدَينِ فيها من عُقوقٍ ومَأثَمِ
عَظيمَينِ في عُلْيا مَعَدٍّ وغَيرِها ... ومَن يَستَبِحْ كَنْزاً من المَجدِ يَعْظُمِ

لقد رأى زهير في عمل ممدوحيه ما يفوق أي عمل من أعمال العظماء دون ذلك فليس هناك ما يفوق حقن الدماء هدفاً أسمى، وليس هناك كرم يفوق كرم الرجال الذين يبذلون خالص أموالهم في سبيل ذلك دون أن يكونوا طرفا فاعلاً أو خائفا، وما فعله هرم والحارث يشبه فعل الجراح الماهر الجريء لأن العشيرة قد تمزق (تبزل) ما يربطها من صلات وأرحام بالدم الذي سال غزيراً على امتداد أربعين عاما، لذلك يقسم زهير قسماً معلنا بالبيت الحرام (الكعبة) انهما نعم القائدان في حالي الشدة والرخاء (سحيل ومبرم) حيث كادت عبس وذبيان ان تفنيا عن بكرة أبيهما بعد أن تخطفتهما الحرب عقب أن (دقوا بينهم عطر منشم) وهي امرأة عطرت قومهما الذين ذهبوا الى الحرب فلم يعد منهم احد فأصبحت مثلاً على شؤم الحرب . ونظرا لايمان زهير العميق بالسلم الذي نذر له أغلبية شعره يرفع ممدوحيه الى عليا معد بن عدنان أبو القبائل المزارية بل وغيرها ممن في جزيرة العرب وكفى بذلك مدحاً وشرفا .

وصف الحـرب

لم أجد فيما قرأته من أشعار العرب في وصف الحرب ما يفوق الذروة التي وصل اليها زهير، فقد رسم صوراً حسّية جعلت من الحرب كائناً وحشيا ملموساً له قانون حياة ونمو وتحولات .

وما الحربُ إلاّ ما علمْتُمْ وذُقْتُمْ	وما هُو عنها بالحديثِ المُرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضْرَ إذا ضرّيتموها فتضْرَم
فتعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَحى بثفالها	وتَلْقَحْ كشافاً ثم تحملْ فتُتْئِم
فتُنْتَجْ لكم غِلْمانَ اشأمَ كلهم	كأحمرِ عادٍ ثم ترضع فتفْطِم

نعم هو حديث راءٍ لا حديث منجم فقد عاصر زهير حرب (داحس والغبراء) أربعين عاما ورأى فظائعها وكيف ان كل تصعيد يؤدي الى تصعيد أكبر، فيقع الناس في مصايد الموت لافكاك لهم منها وبدلا من القضية الصغيرة تصبح هناك قضايا جديدة كل يوم معمّدة بالانتقام والثار والترات والأحقاد وهو يشبهها بالرحى التي تطحن والناس هم الحب المطحون يسقطون في (الثفال) وهو الوعاء الذي يوضع تحت الرحى . ثم يشبهها بالنّاقة التي (تلقح) كشافا أي عاما بعد عام فتحمل وتضع توائم هم أكثر الغلمان شؤماً ولا يشبهم في ذلك إلاّ (أحمر عاد)) من (ثمود) الذي عقر ناقة صالح عليه السلام ، وكان عقره إيّاها شؤما على قومه .

ويعود زهير بعد ذلك لإدانة جرم الحصين بن ضمضم الذي أراد أن يجر على قومه ما جرّه ((احمر ثمود، لولا تدارك ممدوحيه للأمر واطفائهما للنار في مهدها .

إيمان زهيـر

كان زهير بن ابي سُلمى من المؤمنين بالحساب والعقاب في الآخره وكان كما يقول العرب (يتألّه في شعره ، أي يذكر الله كثيرا ويؤمن بأن أعمال الدنيا ستوضع على المحك في الآخرة ، وكان من الواضح ان الحنيفية قد كسبت مواقع متقدمة في نفوس وعقول بعض عرب الجزيرة قبل البعثة النبوية الشريفة وخاصة لدى النخبة الذي يعد بينهم شاعرنا ، وفي المعلقة يخاطب أحلاف ذبيان ضد عبس بأن يخلصوا النوايا ويحذرهم في حالة كتمان ما يخالف العهد بأن الله مطلع على كل شيء وبأنهم سيحاسبون في الآخرة بل وربما عجّل لهم الانتقام في هذه الدنيا .

فمن مُبلغُ الأحْلافِ عني رسالةً	وذبْيانَ قد أقْسمتمُ كلَّ مقسمِ
فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم	ليخْفى ومهما يُكْتَم الله يَعْلَمِ
يؤخر فيوضَعْ في كتابٍ فيُدّخر	ليوم الحساب أو يعجّلْ فيُنْقَم

مجمّع الحكم في المعلّقـة

حوت معلّقة زهير بن ابي سُلمى خلاصة الحكمة العربية مُصاغة في ابيات سائرة وعتها الذاكرة العربية عبر العصور كدستور أخلاقي للرجولة ومكارم الأخلاق وإباء النفوس ، واذا كانت طلّليات زهير في مطالع القصائد كما هو الشأن في المعلقة ومتابعته للضعائن حيث كانت حياة عرب الجزيرة قائمة على الترحال ، قد أحتاجت الى بعض الشروح نظراً لاندثار نمط تلك الحياة بمفرداتها البيئية فان أبيات الحكمة قد ظلت ناصعة الوضوح شفافة المعنى قوية الجرس آسرة الحبك ونورد فيما يلي ذلك العقد الفريد من الحكم لمتعة القارىء وفائدته :

رأيتُ المنايا خبْطَ عشْواء من تُصب	تُمِتْهُ ومن تُخطىء يُعَمّر فيهرم
وأعلمُ علمَ اليوم والأمس قبلهُ	ولكنني عن علم ما في غدٍ عم
ومن لا يُصانع في أمورٍ كثيرةٍ	يضرّس بأنياب ويُوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه	يفِرّهُ ومن لا يتّقِ الشتْمَ يُشتم
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضله	على قومه يُستغنَ عنه ويُذمم
ومن لا يذُد عن حوضه بسلاحه	يهدّم ومن لا يظلم الناس يُظلم
ومن هاب أسباب المنيّة يلْقها	ولو رام أسباب السماء بسُلّم
ومن يوفُ لا يُذْمم ومن يُفْضِ قلبه	الى مطمئن البرّ لا يتجمجم
ومن يقْتربْ يحسب عدوًا صديقهُ	ومن لا يُكرّم نفسهُ لا يُكرّم
ومهما تكن عند امرىء من خليقه	وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
ومن لا يزل يستحملُ الناس نفسه	ولا يُغنها يوماً من الدهر يُسأم
سألنا فاعطيتم وعُدنا فعُدتمُ	ومن يكثر التسأال يوماً سيحرم

شرح بعض الكلمات : العشواء : الناقة لا تبصر ما أمامها ليلا ، المنسم : خُفّ البعير ، يقر عرضه : يصُنه .

خاتمة

وهكذا نلاحظ أن معلقة زهير(بانوراما) كاشفة لأفضل ما مثله الشعر العربي ، فهي تجسيد لمقولة : الشعر ديوان العرب بتوثيقها التاريخي لأشهر حروب الجاهلية (داحس والغبراء)) وهي وليفة مضيئة فنيا للبيئة العربية بجمالياتها وأسلوب حياة الناس آنذاك ، وهي تعبير عن موقف أخلاقي مسؤول باعلائها السلم والعاملين عليه وإدانتها للحرب والثارات وما تؤدي اليها وهي أخيراً منجم حكمة يبلى الزمن ولا تبلى فها هو صاحبها لا يزال يعلمنا الى اليوم فنشعر كم نحن بحاجة الى بصيرته فيما الأحداث تخبطنا خبط عشواء والأعداء يدوسون حقوقنا بـ (مناسمهم) الثقيلة .

دام النّهياني

■ شعر : محين الشامسي

يا الله ببابك عن أبواب السلاطينْ ... يا خالقْ الإنسانْ من مَا ومن طين
عَزّيت يا والي مفاتيح الارزاق ... انت اتعَطي والا العرب ليسْ معطين
خصّه إلى سَخّرت للعبد مَدّي ... مما تباه ايصير للشكر مَدّي
أدري من الإنسان لو كان مدّي ... ما في البحر له شَيْ لو سافَر الصين
عَز الذي في المَهد ما ناسِيني ... ومَعايشي غَصْباً عن الناس يَنّي
إن قِلت مصروع ابشرط سيني ... اعلَم تَرى في الناس تِظهر شَياطين
ما عندهم غير المواشاه دابي ... خِبْث المراضِع ضايعين الأدابي
سَلّط لُهم يارب من مَعك دابي ... صَخره تَحتها غاسق له جَناحين
ليس العدو من ينقل الخَبَر ويزيدْ ... ولا فيه مَنع يوم ذِلْ لبوزيد
ترى العدو لي ينقل الخبر عن زيد ... والا مَحَلّ الخَط طرّشت خَطّين
لي عجَز بيت المال والجاعداتي ... دون العِزفْ تكفيني الجاعداتي
سَلّم على من عنده الجاعداتي ... واعطَى غنايا الناس حَق المساكين
الله ايخَلّي من نهيّان سَدّي ... اللي تحت ظِلّه أنا اودَعْت سَدّي
شيخ إلى ما باب غيره انسَدّي ... صِعنا الهجن صوبَه وجينا غنيين
هو شَمعتي بَنْصاه إلى الحَرب شالي ... شيخ متى ما طاح شَملي ايشالي
رزق السّنه عندي ولو بيع شالي ... والحول يقدَر يخلفه جان حَيّين
يُوصي على الوَفْد الذي جا يزوري ... بحر المروّة بين مَد وجزوري
يا ما نَحَر وقت العشا من يزوري ... عيد المقاوا لي لِفَتْ له اميعين
شروى شبيب التبّعي واليتُومي ... كَنّه نِقل هُو وياه في بَطن تومي
وان جَت احبال المستخفّين تُومي ... لاقتهم النّصره بركب امعَيلين
فرعون شيطان الغضب قد اتعصّى ... وباكور موسى ورّعت من اتعصّى
شُوف الحديد وعظمته كم اتعصّى ... لكنّ هَدّه حامي النار ويلين
دام النهيّاني اركابَه مصاليح ... لا تحسب الخَصْمان إلا مصاليح
خوفي على الغرس الابكار المصاليح ... وتصرم وتخشى باسقات البساتين

هذه قصيدة نادرة للشاعر محين الشامسي والذي عاش فيما بين النصف الأول من القرن الثامن عشر والثلث الأول من القرن التاسع عشر وفيها يمدح الشيخ نهيان الفلاحي جد آل نهيان .

الأولى والأخيـــرة

عارف الخاجة

ينظر كثير من الناس إلى الصفحة الأولى في المجلة - أية مجلة - والتي غالبا ما تحتوي على الإفتتاحية على أنها هي عنوان المجلة وهي التي تترجم سياستها، وهي التي تتحدث عن أهم مادة تحويها المجلة ، ولذا يتوسمون أن تكون هذه الصفحة رزينة وقورة زاخرة بالنصح والوعظ والتنبيه ،فهي المدخل وهي البداية ولا بد أن يكون المدخل مهيبا والبداية محتشمة ، كما ينظرون للصفحة الأخيرة على أنها هي آخر المطاف وهي الوداع وهي النهاية ، ولذا يتوسمون أن تكون خفيفة مرحة مثل النهايات السعيدة في الأفلام ، وأصحاب هذه النظرة للصفحتين الأولى والأخيرة هم من أولئك الناس الذين ينظرون للأمور نظرة منقطعة عن سياقها الشامل ، بمعنى أنهم يحكمون على المجلة من خلال العدد اليتيم الذي بين أيديهم ،فهذا العدد من المجلة إما أن يكون جيدا أو سيئا ، وبالتالي فإن الكلام الوارد في الصفحتين الأولى والأخيرة إما أن يكون جيدا أو سيئا، وهناك من الناس من ينظر للصفحة الأولى في المجلة على أنها إمتداد للصفحة الأخيرة من العدد الماضي للمجلة وأن الصفحة الأخيرة في هذا العدد هي بداية للعدد الآتي من المجلة نفسها وبأن هذا العدد من المجلة هو حلقة جديدة في سلسلة المجلة الكبيرة ،وبأن هذه المجلة أمامها رسالة سامية ، وبأن هذا العدد هو جزء صغير أو فقرة يتيمة في العمود الفقري الشامل الكامل ، وبأن الشروط المتعلقة بالصفحتين الأولى والأخيرة هي شروط غير إجبارية أو ملزمة وبأن تبادل الأدوار بين طبيعة المادة في الأولى والأخيرة ليس بالأمر السيىء ، وبأن الإمتداد والتكامل التاريخي للمجلة ودورها الإجتماعي أمر يجعلنا ننظر للصفحة الأولى كما ننظر للصفحة الأخيرة بنفس المقدار من التلقي دون وضع ضوابط مسبقة لشكل التلقي المطلوب ، ولكن الذي يفصل في الأمر بين الأولى والأخيرة هو : أيهما أكثر إبداعا وتوصيلا وتأثيرا مَنْ كتب الأولى أم مَن كتب الأخيرة ، وقبل ذلك ما علاقة الصفحة الأولى في هذا العدد بالصفحة الأخيرة في العدد الماضي وما علاقة الأخيرة في العدد الحالي بالصفحة الأولى في العدد المقبل ؟

الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة وما بينهما وما بعدهما ألا تمثل في إعتقادكم - بشكل من الأشكال - التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله ؟ ومن هنا فإن السؤال الذي يجب الإلحاح عليه :

كيف نصل ماضينا بحاضرنا لنستشرف من خلالهما مستقبلنا ؟

الإمارات بقيادتها وشعبها أجابوا على هذا السؤال بكل وضوح وفخر ، فأهلاً الإمارات.

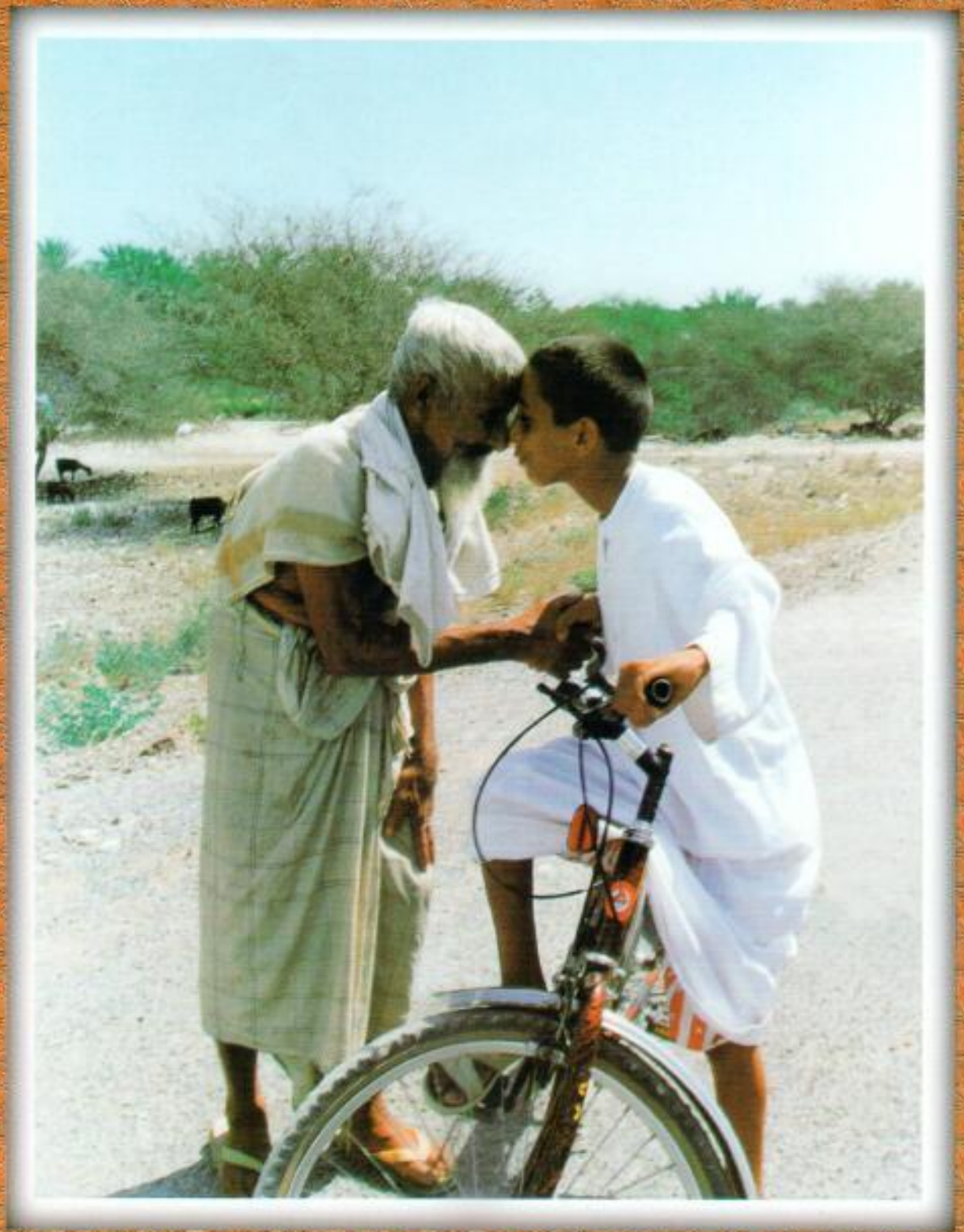

كلما دنت نفسي من غدها ، تحسست كفاً من الماضي يلامسها .
ومحيا في صورة أخذت من تضاريس الأرض هيئتها .

عدسة :
يوسف العدان